سِلسِلَةُ زَادِ الدَّاعِيَةِ المُسْلِمِ (العَقِيدَةُ) (٣)

القَوَاعِدُ المُهِمَّاتُ فِي تَوحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

قَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ
أَبُو سَعِيدٍ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ التَّمِيمِيُّ السِّجِسْتَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَلَنْ يَدْخُلَ الإِيمَانُ قَلْبَ رَجُلٍ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ إِلَهاً وَاحِداً، بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ، وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ».

الطَّبعَةُ الأُولَى
١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم




فصل في
منزلة توحيد الأسماء والصفات

باب الأسماء والصفات باب عظيم، فإنه أساس الهداية، وأصل الدين، وأعظم ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، فليست النفس المؤمنة أحوجَ إلىٰ شيء منها إلىٰ معرفة الله بأسمائه وصفاته ﷻ، هذا هو أصل العلم، وهذا هو كل العلم، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل الله ﷻ فهو لما سواه أجهل.

فإنه علىٰ أساس العلم الصحيح بالله وأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح، والتوحيد الخالص، وتنبني مطالب الرسالة جميعها؛ فهذا التوحيد هو أساس الهداية والإيمان، وهو أصل الدين الذي يقوم عليه، ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان وهي مهمة جداً للمؤمن لشدة حاجته إليها لسلامة قلبه، وصلاح معتقده، واستقامة جوارحه، فالمعرفة لأسماء الله وصفاته وأفعاله توجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لا يليق به ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام.

وهذا الأصل هو أعظم أصول التوحيد، بل لا يقوم التوحيد ولا يتم ولا يكمل حتىٰ ينبني علىٰ هذا الأصل، فإن التوحيد يقوىٰ بمعرفة الله، ومعرفة الله أصلها معرفة أسمائه الحسنىٰ والصفات العلىٰ وما تشتمل عليه من المعاني العظيمة والتعبد لله بذلك.

ومعرفة توحيد الأسماء والصفات معرفة فطرية ضرورية وليس في المعارف أجلىٰ منها وأظهر.

وبهذه المعرفة تحصل زيادة الإيمان ورسوخه، فكلما ازداد العبد علماً بالله زاد إيمانه وخشيته ومحبته لربه وتعلقه به قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [سورة فاطر:٢٨]، كما تجلب للعبد النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

فمعرفة الله تدعو إلىٰ محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلىٰ معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه في فهم معانيها.

ولذا كان هذا العلم هو بحق أفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلىٰ شيء من الأشياء أشوق منها إلىٰ معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه.

ولا يختلف المسلمون أن معرفة أسماء الله وصفاته أساس الدين وأصل الهداية، وهي أفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول، ويظهر شرف هذا العلم من وجوه:

- أن العلم من حيث هو شيء فاضل، ولكنه يتفاضل بحسب المعلوم، والله أشرف معلوم، فالعلم به أشرف العلوم.

والله هو الكبير؛ بل الله أكبر من كل شيء، فالعلم به أكبر من كل علم.

والله هو العظيم، فالعلم به أعظم العلوم.

بل كل العلوم والمعارف تبع لهذه المعرفة، ومعرفة الله مرادة لأجلها، وهو الغاية التي خلق الله هذا الخلق لأجلها.

- وقد أكثر سبحانه في كتابه من الأمر بالعلم بأسمائه وصفاته ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾ [سورة البقرة:٢٣٥]،

قال عز وجل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤﴾ [سورة البقرة:٢٤٤]،

قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [سورة البقرة:٢٦٧]،

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ [سورة البقرة:٢٣١]،

قال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [سورة الطلاق:١٢]،

قال عز وجل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [سورة البقرة:١٩٤]،

قال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [سورة العلق:١٤]،

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾ [سورة البقرة:٢٣٥]،

قال جل وعلا: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [سورة المائدة:٣٤]،

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [سورة المائدة:٩٨]،

قال عز وجل: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [سورة الأنفال:٤٠]،

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [سورة

الحديد:١٧]، ونحو ذلك.

وقد ورد هذا في كتاب الله في أكثر من عشرين موضعًا.

- **وروي عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن جُرَيْج- في قوله:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦]. قال: إلّا ليعرفوني.

قلت: والله تعالىٰ قد عرفنا نفسه بأسمائه وصفاته.

فالله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم، فالاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له، وقبيح بعبد لم تزل نعم الله عليه متواترة، وفضله عليه عظيم من كل وجه أن يكون جاهلاً بربه معرضًا عن معرفته.

فالعلم به تعالىٰ أصل الأشياء كلها، حتىٰ إن العارف به حقيقة المعرفة، يستدل بما عرف من صفاته وأفعاله علىٰ ما يفعله وعلىٰ ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضىٰ أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة بين العدل والفضل والحكمة، ولذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام إلا علىٰ حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله، فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه عدل وحكمة.

- **جاء في الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣٤)**: «أول فرض فرضه الله تعالىٰ علىٰ خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته».[١]

(١) وانظر بيان المحجة (١/ ١٣٤).

والعلم بالله تعالىٰ وصفاته هو العلم الأعلىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [سورة الأعلى:١]، فهو ربُّ كلِّ ما سِواه، فهو الأصلُ، فكذلك العلم به سيِّدُ جميع العلوم وهو أصلٌ لها.

- **قال الإمام الآجري في فرض طلب العلم (٣٣٧):** اعلم رحمنا الله وإياك أنه واجب علىٰ كل مسلم عاقل بالغ غني كان أو فقير شريف وغير شريف حرّ أو مملوك ذكر أو أنثىٰ صحيح أو زمن، **فإن قال قائل:** فإن العلم كثير لا يُدركه كل أحد، ففرض علىٰ كل مسلم طلبه؟!

قيل له العلم علىٰ وجوه كثيرة:

فمنهُ علم لا يسع المسلم جهله غنيًّا كان أو فقيراً صحيحـًا أو زمنـًا، حراً أو عبداً

- **وقال:** «لو أراد رجل أن يتزوج إلىٰ رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجوا رحمته ونخاف من سخطه أولىٰ أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها». (١/ ١٣٤).

- **وقال اللالكائي:** "فإن أوجب ما علىٰ المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته".

فمفتاح دعوة الرسل، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ علىٰ هذه المعرفة تبنىٰ مطالب الرسالة كلها، من أولها إلىٰ آخرها.

فالعلم به سبحانه أعلىٰ العلوم، وغاية العلوم، ومنتهىٰ العلوم، وتحقيق العلوم، وأصل العلوم، والعلم به الحاجة إليه ضروريّة، فلا صلاح للعبد إلا به، ولا سعادة بدونه، فهو أصلٌ لتحقيق تلك العلوم التي به تستحقّ أن تكون علومًا.

فأعظَمُ عِلْمٍ صدَرَ مِن الخالِقِ وأشرَفُهُ هو العِلْمُ بالله وأَسمائِهِ وصفاتِهِ وحقوقه علىٰ عبادِه.

إذا كان عاقلاً بالغـًا في كل وقت وفي كل زمان مما ينبغي أن يكون مصحوبه في الحضر والسفر، وعند كل حال: وذلك معرفة الله ﷻ بصفاته، بصحة توحيده، وإخلاصه فيه.اهـ

فإذا علم أن الكلام يدور علىٰ أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ فإن ذلك يغني ويكفي عن عد مناقبه وسرد عجائبه.

إلا أن هذا البحث تتجلى أهميته في:

- **أولاً**: أن العلم بأسماء الله وصفاته هو الغاية النبيلة، لأنه هو حقيقة معرفة الله التي لا سعادة للعبد، ولا فلاح، ولا نعيم، ولا صلاح في دنياه وآخرته إلا بهذه المعرفة والتعبد لله تبارك وتعالى بها.

- **روىٰ الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ٩١):** عن مالك بن دينار؛ قال: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحيىٰ؟ قال: معرفة الله ﷻ.

- **وروىٰ أحمد في «الزهد» (ص٢٢٦):** عن الحسن قال: من عرف ربه تبارك وتعالى أحبه.

- **وقال سفيان كما في «الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي» (ص٦٩):** "كتب إلي حجاج بن الفرافصة قال: قال بديل: من عرف ربه أحبه.

وبيان ذلك: أن العبد إذا علم بتفرد الرب تعالىٰ بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة فإن ذلك يثمر له عبودية التوكل عليه باطنـًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً.

وإذا علم بأن الله سميع بصير عليم لا يخفىٰ عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفىٰ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفىٰ الصدور، فإن هذا يثمر له حفظ اللسان والجوارح وخطرات القلب عن كل ما لا يرضىٰ الله، وأن يجعل تعلقات هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه.

وإذا علم بأن الله غني كريم بر رحيم واسع الإحسان فإن هذا يوجب له قوة الرجاء، والرجاء يثمر أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

وإذا علم بكمال الله وجماله أوجب له هذا محبة خاصة وشوقًا عظيمًا إلىٰ لقاء الله، وهذا يثمر أنواعًا كثيرة من العبادة.

فكلما كان العبد بالله أعرف كان له أخوف

فمعرفة الله عز وجل تقوي جانب الخوف والمراقبة، وتعظم الرجاء في القلب، وتزيد في إيمان العبد، وتثمر أنواعًا كثيرة من العبادة، ولا سبيل إلىٰ هذه المعرفة ولا طريق إليها إلا تدبر كتاب الله وما تعرف به سبحانه إلىٰ عباده علىٰ ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما نزه نفسه عنه مما لا يبغي له ولا يليق به سبحانه وتدبر أيامه وأفعاله في أوليائه وأعدائه التي قصها علىٰ عباده وأشهدهم إياها ليستدلوا بها علىٰ أنه إلههم الحق المبين الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويستدلوا بها علىٰ أنه علىٰ كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، وأنه شديد العقاب وأنه غفور رحيم وأنه العزيز الحكيم، وأنه الفعال لم يريد وأنه الذي وسع كل شيء رحمة وعلمًا وأن أفعاله كلها دائرة ببن الحكمة والرحمة والعدل والمصلحة لا يخرج شيء منها عن ذلك، وهذه الثمرة لا سبيل إلىٰ تحصيلها إلا بتدبر كلامه والنظر في آثار أفعاله.

أما من خالف هذه الجادة، وتنكب هدىٰ الصراط، وسلك طرق أهل الزيغ في معرفة الله، فما أبعده عن معرفة ربه وخالقه، بل إنه يكون أضعف الناس معرفة بالله، وأقلهم خوفًا وخشية منه.

وبهذا يُعلم أن العبودية كلها راجعة إلىٰ مقتضيات الأسماء والصفات.

فإذا عرف العبد ربه المعرفة الحقيقية المطلوبة السالمة من طرق أهل الزيغ في معرفة الله والتي تبنىٰ علىٰ تحريف الأسماء والصفات أو تعطليها أو تكييفها أو تشبيهها، فمن سلم من هذه المناهج الكلامية الباطلة، التي هي في الحقيقة أعظم ما يحول بين العبد وبين معرفة ربه وأعظم ما ينقص الإيمان ويضعفه، وعرف ربه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ التي تعرف بها إلىٰ خلقه والتي وردت في الكتاب والسنة وفهمها علىٰ منهج السلف الصالح، فقد وفق لأعظم أسباب زيادة الإيمان.

- **ثانياً**: أن أشرف علم يناله العبد في هذه الدار هو علمه بأسماء الله وصفاته، لأنه أصل كل علم ومنشؤه، فهو علم مطلوب لنفسه مراد لذاته والعمل بهذا العلم هو الغاية المطلوبة من الخلق والأمر.

- **ثالثاً**: أن الكتب الإلهية عامة والكتاب المنزل بالحق المصدق لما بين يديه والمهيمن عليها خاصة اشتملت نصوصها علىٰ الإخبار عن أسماء الله وصفاته أكثر من اشتمالها علىٰ ما عداها، ونصوص الصفات هي أكثر ما في القرآن.

- **رابعاً**: أن الرسل عامة وخاتمهم وإمامهم خاصة صلوات الله عليهم أجمعين جعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم ومطالب نبوتهم وأساس ملتهم تعريف أممهم بأسماء الله وصفاته والدعوة إلىٰ إخلاص الدين له.

• **خامساً**: أن الله ﷻ يحب أن يحمد ويمجد ويثنىٰ عليه بما هو أهله وأحب الحمد والمجد والثناء الحسن إلىٰ الرب ﷻ ذكره بأسماء جماله وصفات كماله ونعوت جلاله.

- **قال النبي ﷺ كما «صحيح مسلم» (٢/ ٥١)**: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**».

• **سادساً**: معرفة أسماء الله وصفاته أصل عظيم في منهج السلف.

• **سابعاً**: والعلم بأسماء الله وصفاته هو حياة القلوب.

• **ثامناً**: أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته.

• **تاسعاً**: وإسلام المرء متوقف علىٰ الإيمان بهذا التوحيد فإن الجهل بأصوله ومخالفة سبيل المؤمنين في تحصيله تؤدي للتعطيل والشرك.

• **عاشراً**: العلم بأسماء الله وصفاته يفتح علىٰ العبد أبوابًا عظيمة من عبوديات القلب وعبوديات الجوارح ومن سلمت فطرتهم في هذا الباب فإنهم يستدلون بصفات الله علىٰ أحكامه الشرعية القدرية (قَالَتْ خدِيجَةُ للنبي ﷺ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ) علمت بفطرتها أن الله ﷻ حكيم ومن حكمته أنه لا يمكن أن يخزي من هذه حاله.

• **الحادي عشر**: كلما كان الإنسان أعلم بأسماء الله وصفاته كلما كان أصح عبادة وأشد تقوىٰ ولا يمكن أن تستقيم العبادة ويتحصل اليقين فيها إلا من خلال هذا التوحيد.

• **الثاني عشر**: أن هذا العلم وما يتبعه من العمل هو الغاية من خلق هذا الكون قال تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الطلاق:١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة المائدة:٩٧].

ومن كان معطلاً لصفات الله ﷻ لابد أنه واقع في الشرك وتعطيل الربوبية والألوهية وسيقع في الإلحاد.

- **قال أبو الشيخ في العظمة (٨١):** أخبرنا أبو يعلىٰ، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير رضي الله عنه، قال: تكلمت اليهود في صفة الرب ﷻ، فقالوا ما لا يعلمون ولم يدروا، فأنزل الله ﷻ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:٩١]، ثم بين عظمته للناس، فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزمر:٦٧]، فجعل صفتهم التي وصفوا بها الله ﷻ شركًا.

إذاً: العلم بأسماء الله وصفاته من الأمر العظيم المهم، الذي ينبغي أن يكون أهم مطالب العبد في هذه الحياة، فأي عبادةٍ وأي توجهٍ وتألهٍ للمعبود سبحانه دون معرفة الله بأسمائه وصفاته؟ العبد بحاجة إلىٰ مولاه، بل له ضرورة إليه ﷻ، من حيث كونه ربه، ومن حيث كونه إلهه.

هو مفتقر إلىٰ مولاه ﷻ من حيث كونه ربَّه الذي خلقه، والذي يرزقه، والذي

يتولىٰ تدبير أمره، والذي يتوكل عليه، والذي يفوض الأمور إليه، وهو كذلك مفتقرٌ إليه افتقاراً تامـًا، من حيث كونه إلهه الذي يتأله له، فيحبه ويجله ويعظمه ويخافه ويرجوه، فأي تحقيق لهذين الأمرين الربوبية لله أو التأله له دون معرفة أسماء الله وصفاته.

إذا أردت أن تحصي شيئـًا من نعمة الله عليك، من الصحة والرزق والسمع والبصر، فلا تنسىٰ ما هو أعظم من ذلك كله، وهو أن عرفك نفسه، هذه النعمة الكبرىٰ وهذه المنة العظمىٰ، التي ليس هناك نعمة تدانيها، فإن كلَّ خيرٍ مرتبطٌ بهذا العلم، أن تعلم الله ﷻ، وأن تعرفه حق معرفته، ولذلك من العجب أن يكون عند الإنسان حرصٌ علىٰ معرفة العبادة دون أن يكون منه حرص علىٰ معرفة المعبود، مع أن معرفة المعبود مقدمةٌ علىٰ معرفة العبادة، فكيف بالذين حرصوا علىٰ كل علم وكل فن وكل تخصص كما يقولون ويجتهد في معرفته، لكنه من أجهل الناس بربه، لا يدري كثيراً من نعوت جلاله وجماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كيف تتعبد له بالمحبة والخوف والرجاء، وأنت لا تعلم أنه الجميل سبحانه، وأنه الودود، وأنه الرحمن الرحيم، وأنه الغفور، وأنه شديد العقاب، وأنه الذي لا يرد بأسه عن القوم المجرمين؟ كيف تتعبد له بأنواع العبوديات وأنت جاهل به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

ولذا كلَّما كنت بالله أعلم كنت له أعبد، هذا أصلٌ عظيمٌ عزيز لا ينبغي أن يغيب عنك أبداً، ولما كان نبينا الكريم أعلم الناس بالله كان أعظمهم له خشيةً وتعبداً.

هذا العلم بالله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه ونعوت جلاله وجماله أعظم طريق يوصل إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إن كنت تروم أن تصل إلىٰ ربك، إلىٰ رحمته ومرضاته وجنته، فدونك هذا الطريق الذي ليس ثمَّة طريقٌ أفضل منه ولا أعظم منه، الطريق إلىٰ الله تعالىٰ من طريق أسمائه

وصفاته صاحبه قد حيزت له السعادة وإن كان مستلقيـاً علىٰ فراشه، ولذا فإن من نعمته علىٰ عباده أن بيَّن لهم كثيراً من أسمائه وصفاته، وجعل كتبه التي أنزلها علىٰ رسله، فيها بيان كثيرٍ من أسماء الله وصفاته، ولا سيما في كتاب الله تعالىٰ، الذي أرسل الله نبيه ﷺ به، فإن فيه جملة كبيرة من أسماء الله وصفاته، بل إنه ﷻ ضرب الأمثال وكذا نبيه ﷺ التي تبين وتُعرِّف العباد بمولاهم ومعبودهم.

فهذا العلم الجليل الواجب لا ينبغي لأي مسلم أن يضعف عن تحصيله.

فأرجوا من الله تعالىٰ أن يكون هذا الكتاب مبينـاً وموضحـاً لطريقة الأولين: الذين لم يتلوثوا بشيء من أوضار هذه الفرق وأدناسها، وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهبـاً بين مذهبين، وهدىٰ بين ضلالتين، خرج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين والمجهلين والمشبهين، كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبنـاً خالصـاً سائغـاً للشاربين وقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

ولأن الله تعالىٰ أبىٰ أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفـاً عن سلف وقرنـاً عن قرن إلىٰ أن انتهوا إلىٰ التابعين وأخذه التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ ولا طريق إلىٰ معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث.

وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه، لأنهم رجعوا إلىٰ معقولهم وخواطرهم وآرائهم فطلبوا الدين من قبله فإذا سمعوا شيئـاً من الكتاب والسنة عرضوه علىٰ معيار

عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلىٰ قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم تعالىٰ الله عما يصفون.

وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه علىٰ الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقًا لهما قبلوه وشكروا الله ﷻ حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه، وإن وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا علىٰ الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة علىٰ أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلىٰ الحق ورأي الإنسان قد يري الحق وقد يري الباطل.

ومما يدل علىٰ أن أهل الحديث هم علىٰ الحق.

أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلىٰ آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد علىٰ وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه علىٰ طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها قولهم في ذلك واحد، وفعلهم واحد لا ترىٰ بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قلّ.

بل لو جمعت جميع ما جرىٰ علىٰ ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرىٰ علىٰ لسان واحد، وهل علىٰ الحق دليل أبين من هذا[١].

وباب الأسماء والصفات من الأبواب التي كثر فيها القول بالباطل، فإن الخلاف فيه قديم، ولذا فقد كثرت الفرق التي خالفت الحق في هذا الباب، وقد عظمت البلية

---

(١) «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص٤٥).

بهم حتىٰ إن الخلل والخطأ فيما يتعلق بصفات الله قد وقع في كثير من الكتب التي بأيدي الناس اليوم.

وإذا كان ذلك كذلك، فإن المتعين علىٰ المسلم -لا سيما طالب العلم- أن يعتني بتحقيق هذا الباب وفق دلالات الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح.

فإن الخطأ في هذا الباب ليس كالخطأ في غيره؛ فإن الذي يعارض الله في ثبوت ما أثبت لنفسه من الصفات قد وقع في أمر عظيم.

- **قال ابن بطة:** ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما روته العلماء ونقله الثقات أهل الآثار؛ عن رسول الله ﷺ، ويلقاها بالقبول، ولا ترد بالمعاريض، ولا يقال: لم وكيف؟ ولا تحمل علىٰ المعقول ولا تضرب لها المقاييس، ولا يعمل لها التفاسير إلا ما فسره رسول الله ﷺ، أو رجل من علماء الأمة ممن قوله شفاء وحجة.

مثل: أحاديث الصفات والرؤية.

ومثل: ما روي أن الله ﷻ يضع السماوات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع وأن الله ﷻ يضع قدمه في النار فتقول: قط قط، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن.

وأن الله ﷻ علىٰ العرش، وللعرش أطيط كأطيط الرحل الجديد.

وأن الله ﷻ أخذ الذرية من ظهر آدم بيده اليمنىٰ وكلتا يديه يمين مباركة؛ فقال: هذه لهذه، ولا أبالي.

ولا يقبح الوجه؛ فإن الله خلق آدم علىٰ صورته. وقال النبي ﷺ: «**رأيت ربي في صورة كذا..**».

قد روىٰ هذه الأحاديث؛ الثقات من الصحابة، والسادات من العلماء من بعدهم؛ مثل: ابن عمر وعائشة وأبي هريرة وابن عباس وجرير بن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم.

وأن الله ﷻ ينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا لا يقال لهذا كله: كيف ولا لم؟ بل تسليمها للقدرة وإيمانـًا بالغيب كل ما عجزت العقول عن معرفته.

فالعلم به وعين الهداية فيه الإيمان به والتسليم له.

وتصديق رسول الله ﷺ فيما قاله؛ هو أصل العلم، وعين الهداية.

لا تضرب لهذه الأحاديث وما شاكلها؛ المقاييس، ولا تعارض بالأمثال، والنظائر.



فصل في
منهج أهل الحديث في إثبات الصفات

إن من نعم الله علىٰ أهل السنة والجماعة أن جعلهم في سائر أبواب الدين متبعين مهتدين لا مبتدعين ضالين، معتصمين بكتاب الله وسنة رسوله، فلم يقدموا عليهما رأيـًا حادثـًا ولا عقلاً فاسداً، فكانوا بحق من الهداة المهتدين، يحدث الشاهد منهم الغائب، ويبلغ السابق منهم اللاحق، فكانوا للهدىٰ نقلة، وللحق حفظة، حفظ الله بهم البلاد والعباد، فبهم أقام الله الدين، وبهم صانه من التحريف والتبديل، فنقلوا لمن خلفهم الحق كما نزل، وبلغوا وحي الله كما أمر، لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه، فكان الدين ما نقلوه، والشرع ما بلغوه، فما لم يكن عندهم دين فليس اليوم بدين.

- **قال سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين[(١)].

وكل علم لا يأتي من طريقهم فليس بعلم.

- **ورحم الله الأوزاعي إذ قال:** العلم ما جاء عن أصحاب محمد وما لم يجئ عن أصحاب محمد فليس بعلم[(٢)].

- **ورضي الله عن الشعبي إذ قال:** ما حدثوك عن أصحاب محمد فخذ، وما

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله»: (١/ ٧٧١/ ١٤٢٥)، وانظر: (٢/ ٩٤٥/ ١٨٠٥)، و«ذم التأويل» لابن قدامة: (١/ ٢١/ ٣٠).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله»: (١/ ٧٦٨-٧٦٩/ ١٤٢٠).

حدثوك سوىٰ ذلك فألقه في الحش[(١)].

فهؤلاء أصحاب محمد أعظم الأمة إيمانـًا، وأعلاهم منزلة، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، فمن تعلم منهم ونقل عنهم أصاب الهداية والفلاح في الدنيا والآخرة، ومن ضل عن نهجهم، وسلك غير سبيلهم فلا تسل عنه في أي أودية الرأي ضل ولا في أي حفر الهوىٰ زل.

لذلك كان السلف رضي الله عنهم مستمسكين بكتاب الله وسنة رسوله، سائرين عليها وموافقين لها، ومقتدين في ذلك بسيرة أصحاب رسول الله، ومنتهجين نهجهم في التعامل مع نصوص الشرع تعظيمـًا وتسليمـًا، فلذلك أصابوا الهدىٰ في شأنهم كله، والحمد لله أولاً وآخراً.

ومنهج السلف في باب الأسماء والصفات موافق لمراد الشارع الذي نقله لنا العدول الثقات، فهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله وأثبته الصحابة رضوان الله عليهم وما تلقته الأمة بالقبول والاحتجاج.

وينفون ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله.

من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، علىٰ حد قوله تعالىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى:١١]. فإثباتهم للأسماء والصفات إثبات معنىٰ وحقيقة، لا إثبات تمثيل وتكييف.

---

(١) «الإبانة»: (الكتاب الثاني: الإيمان): (٢/ ٥١٧-٥١٨/ ٦٠٧-٦٠٨)، و«جامع بيان العلم وفضله»: (١/ ٧٧٦/ ١٤٣٨-١٤٣٩)، و«المصنف» لعبد الرزاق: (١١/ ٢٥٦/ ٢٠٤٧٦)، وانظر: «شرف أصحاب الحديث» الخطيب البغدادي: (١٣٩).

ونفيهم نفيٌ يتضمن إثبات الكمال لا نفي تعطيل، جمعوا بين وصف الله بالكمال ونفي العيب والنقص عنه.

وقد أعاذ الله تعالىٰ أهل السنة من التحريف، والتشبيه، والتكييف، ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتىٰ سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى:١١] [(١)].

---

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (١٦١-١٦٤).

- **قال محمد بن إسحاق ابن منده:** نقول وبالله التوفيق أن الله ﷻ وصف نفسه في كتابه وعلىٰ لسان نبيه فذكر: الوجه الباقي بعد فناء الوجوه وذكر اليدين اللتين خلق بهما آدم وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة:٦٤]. وذكر السمع والبصر فقال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [سورة طه:٤٦]، وذكر النبي ﷺ الصدقة فقال: تقع في كف الرحمن وإنه ليس بأعور، وإنه صمد، وإنه ينزل لفصل القضاء، وإنه استوىٰ علىٰ عرشه، وإنه يغضب ويرضىٰ ويحب ويبغض في سائر ما ذكر في صفاته، وكانت هذه الصفات مفهومة عند العرب رواه الخلف العدول عن السلف المختار للبلاغ والإبلاغ عن نبيهم من الصحابة والتابعين لا يطعن فيها إلا ملحد، ورووا مع هذه الصفات نهي النبي ﷺ عن التفكر في كيفيتها فقال ﷺ: «**لا تفكروا في ذات الله فإنكم لا تقدرون قدره**»، وأعلمهم أنه لا يستدرك كيفية هذه الصفات بتمثيل ولا تشبيه ولا تأويل فعلموا حينئذ أن السؤال عن كيفيتها مستحيل وإنها لا يستدرك ذلك بوجه من الوجوه وأن الإيمان بها واجب فنقلوها مع النهي عن التفكر فيها. إلىٰ أن ظهرت أئمة الضلالة، ليس لهم ذكر في معرفة أهل القرآن وعلومه ولا في رواة الآثار وناقليها ولا أهل الفقه وعلوم أحكامه، فزعمتْ أنهم ينفون عن الله التشبيه فشبهت وجه الرحمن الباقي بوجه الثوب، ووجه الأمر، وشبهت الضحك من الله بالزرع والنخل إذا اهتزت، وتأولت اليدين بنعمتين، وكذلك سائر الصفات التي نهىٰ النبي ﷺ، وأصحابه وأئمة أهل العلم عن التفكر فيها إذ لا يستدرك حقيقة كيفيتها، في جهة من الجهات، ولو جاز الكلام في معانيها لكانت الصحابة أولىٰ بذلك لأنهم كانوا أعلم بلسان العرب ولسألوا نبيهم ﷺ عن ذلك كما سألوه عن الصلاة عليه إذ كان للصلاة عندهم وجوه، وكما سألوه عن الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وكان البحث عن معرفة كيفية الصفات

فهذا المعتقد متوارث منقول بالسند الموصول إلىٰ الرسول، لم يقصر المبلغ في تبليغه، ولا فرّط الناقل في نقله، فقد حفظوا لنا الاعتقاد بحفظ مصدره ومنبعه وفهمه.

والآثار الواردة عن صحابة رسول الله تبين لكل عاقل، سليم القلب والفطرة أن الصحابة ﭫ كانوا يثبتون لله الأسماء والصفات الإثبات اللائق بالله سبحانه وتعالىٰ، ولقد سار السلف علىٰ نهجهم، واستنوا بسنتهم، وبنوا قولهم ومعتقدهم في هذا الباب ـ باب الأسماء والصفات ـ علىٰ قواعد راسخة، وأصولٍ ثابتة، مستمدة من كلام الله وسنة رسوله وآثار الصحابة.

- **قال أبو عثمان الصابوني في معتقد السلف أصحاب الحديث فقال:** يعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله؛ علىٰ ما وردت

أولىٰ ولكنهم علموا أن لا وصول إلىٰ معرفة كيفيتها تأويلاً ولا تمثيلًا ولا تشبيهًا، فلما أن لم تجد هذه العصابة التائهة عن الحق تعطيل صفات الله إلا بالتأويل، ولم يكن لهم طريق إلىٰ أهل العلم ولا قبول؛ استروحت إلىٰ الهمج والرعاع في العامة التي لا تعرف حقًا ولا باطلًا فشغبت علىٰ الصحابة والتابعين بروايتهم صفات الله ﷻ وزعمت أنهم نقلوا عن نبيهم التشبيه وتأولوها لهم بعقولهم الفاسدة وأرائهم الخبيثة وقصدوا بذلك تكفير الصحابة والتابعين الذين نقلوا هذه الصفات مع نهي النبي ﷺ عن التفكر فيها ولم يرضوا بذلك حتىٰ وضعوا في كتبهم الكفر الصراح وادَّعته علىٰ أصحاب نبيهم صلىٰ الله عليه ذكروا أن الله ﷻ يأتيهم عشية عرفة في قفص من ذهب علىٰ جمل أحمر، وأن الله تعالىٰ لما أراد أن يخلق نفسه أجرىٰ خيلًا فخلق نفسه من عرقها، وأن الرب ﷻ محمول علىٰ كواهل الملائكة، وأن الله يكشف لأوليائه غدًا في القيامة عن ساق أشعر، مع أشباه من هذا كثيرة ادعتها علىٰ رواة الآثار بأنهم رووها عن الصحابة والتابعين رجاء تعطيل الدين وإطفاء الإسلام فأبىٰ الله ﷻ إلا أن يظهر دينه ويجعل كلمة أهل الآثار من الصحابة والتابعين العليا وكلمتهم السفلىٰ منة من الله ﷻ وفضلًا.

«مجلس من أمالي ابن منده» رواية ابنه عبد الرحمن.

الأخبار الصحاح به، ونقلت العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه؛ فيقولون إنه خلق آدم بيديه؛ كما نص سبحانه عليه في قوله ـ عز من قائل: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ [سورة ص:٧٥]. لا يحرفون الكلم عن مواضعه؛ بحمل اليدين علىٰ النعمتين، أو القوتين؛ تحريف المعتزلة الجهمية ولا يكيفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين، تشبيه المشبهة خذلهم الله.

وقد أعاذ الله تعالىٰ أهل السنة من التحريف، والتشبيه، والتكييف، ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتىٰ سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى:١١].[(١)]

- **قال أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات:** كانت كلمة الصحابة علىٰ اتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم؛ إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالىٰ في أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا كما نقل سائر الاختلاف، فاستقر صحة ذلك عن خاصتهم وعامتهم حتىٰ أدوا إلىٰ التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتىٰ نقلوا ذلك قرنا بعد قرن، لأن الاختلاف كان في الأصل عندهم كفر، ولله المنة. الحموية (٤٠٢).

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٦١ ـ ١٦٤).

- **وقال ابن أبي زمنين:** فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه و وصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. [(١)]

- فالبصيرة في توحيد الأسماء والصفات وفقهها، وفهمها علىٰ نهج السلف الصالح، وعلىٰ أهمية الحذر من شبه أهل الكلام الباطل المفسد لهذا التوحيد.

وذلك بأن يشهد قلبك بأن الرب تبارك وتعالىٰ مستويـًا علىٰ عرشه، متكلمـًا بأمره ونهيه، بصيراً بحركات العالم علويه وسفليه، وأشخاصه وذواته، سميعـًا لأصواتهم، رقيبـًا علىٰ ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره، نازل من عنده وصاعد إليه، وأملاكه بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك، موصوفـًا بصفات الكمال، منعوتـًا بنعوت الجلال، منزهـًا عن العيوب والنقائص والمثال، هو كما وصف نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه، حي لا يموت، قيوم لا ينام، عليم لا يخفىٰ عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، بصير يرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، سميع يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات علىٰ تفنن الحاجات، تمت كلماته صدقـًا وعدلاً، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبهـًا ومثلاً، وتعالت ذاته أن تشبه شيئـًا من الذوات أصلاً، ووسعت الخليقة أفعاله عدلاً، وحكمة ورحمة وإحسانـًا وفضلاً، له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد، وله الثناء والمجد، أول ليس قبله شيء، آخر ليس بعده شيء، ظاهر ليس فوقه شيء، باطن

---

(١) أصول السنة (٧٤).

ليس دونه شيء، أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنىٰ، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل، كل شيء من مخلوقاته دال عليه، ومرشد لمن رآه بعين البصيرة إليه، لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ولا ترك الإنسان سدىٰ عاطلاً، بل خلق الخلق لقيام توحيده وعبادته، وأسبغ عليهم نعمه ليتوسلوا بشكرها إلىٰ زيادة كرامته، تعرف إلىٰ عباده بأنواع التعرفات، وصرف لهم الآيات، ونوع لهم الدلالات، ودعاهم إلىٰ محبته من جميع الأبواب، ومد بينه وبينهم من عهده أقوىٰ الأسباب، فأتم عليهم نعمه السبغة، وأقام عليهم حجته البالغة، أفاض عيهم النعمة، وكتب علىٰ نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته تغلب غضبه".

فمن كانت معرفته لله كذلك، وتفقه في هذه البصيرة، كان من أقوىٰ الناس إيمانـًا، وأحسنهم إجلالاً وتعظيمـًا ومراقبة لله عز وجل، وأكثرهم طاعة وتقربـًا إليه، والناس في ذلك متفاوتون فمقل ومستكثر.

والناس في الجملة انقسموا في هذا الباب العظيم إلى ثلاثة أقسام:

١- **أهل التعطيل:** وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وعامة المتكلمين.

٢- **أهل التمثيل:** وهم الرافضة وغلاة الصوفية وعموم من أشرك بالله في الألوهية.

٣- **أهل التوحيد والإثبات:** وهم أهل الحديث أهل السنة والجماعة الوسط العدول.

فكل مقالات الناس في باب الأسماء والصفات راجعة إلىٰ هذه الأقسام الثلاثة.

فثمَّة انحرافٌ إلىٰ شق التعطيل، وثمَّة انحرافٌ إلىٰ شق التمثيل، وثمَّة توسطٌ علىٰ جادَّة الحق وهو مسلك أهل سواء السبيل أهل التوحيد والاثبات.

القاعدة الأولى: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسول الله ﷺ أو أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

تعليق

أولاً: معنى التحريف: مضعَّفٌ ومشَّددٌ من حَرَفَ، يَحرِفُ، تحريفًا، والتشديد ها هنا للمبالغة، أصلُ الفعل(حَرَفَ) من باب (طَرَدَ) والتحريف بمعنى الانحراف؛ يعني: الخروج عن السمت، والخروج عن الحق، والابتعاد عن الصواب.

وهو ما يسمىٰ في اصطلاح المتكلمين بالتأويل ومعناه عندهم صرف الظاهر إلىٰ غيره بقرينة خارجية كما يقولون الاستواء هو الاستيلاء، والوجه هو الذات، واليد هي القدرة والمحبة إرادة الإنعام وغير ذلك.

وهذه البدعة بدعة التحريف هي صنعة اليهود، فقد وصفهم الله تعالىٰ بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه فهذا إرث ورثه عموم الجهمية من أسلافهم اليهود، وهذا التحريف هو حقيقة الإلحاد في أسماء الله وآياته وصفاته.

ووصف تأويلاتهم بالتحريف هو التعبير الحقيقي لها وكذلك التحريف أوضح في الدلالة علىٰ المقصود، وأوقع في النفوس من حيث بيان الشناعة من كلمة التأويل.

وعلاقة التحريف والتعطيل هي علاقة المسبب بالسَبَّبِ، علاقة الوسيلة بالنتيجة،

فالتأويل وسيلة والتعطيل نتيجة.

لأن التعطيل مسبَب والسبب هو التحريف فالتحريف، نتيجته التعطيل، والتعطيل سببه التحريف، وقد يكون سبب التعطيل التفويض، وغير ذلك، وإن كان التحريف أكبر سبب للتعطيل.

والتحريف من حيث الأصل:

١-قد يكون بتغييرٍ وتبديل في الحركات.

٢-وقد يكون تغييراً وتبديلاً في الحروف والحركات.

كما فعلوا في قوله تعالىٰ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [سورة النساء:١٦٤] فنصبوا اسم الله تعالىٰ (اللهَ) فيكون المتكلم هو موسىٰ وليس الله بالرفع، وكل ذلك فراراً عن إثبات الكلام لله تعالىٰ.

وسيأتي ضرب بعض الأمثلة في مبحث أصول استدلال أهل البدع.

٣-ويكون التحريف للمعاني، وهذا هو الأكثر والأخطر والغالب في طرائق المتكلمين.

فعندما تجد السلف يقولون أنكر المعتزلة كذا وأنكرت الجهمية كذا فإنهم في عامة أقوالهم لا يقصدون أنهم ينكرون قرآنية اللفظ المذكور..

وصدق من قال:

أُمِرَ اليهودُ بأنْ يَقُولُوا «حِطَّةٌ» ... فَأَبَوْا وَقَالُوا: «حِنْطَةٌ» لِهَوَانِ
وَكَذَلِكَ الجهْمِيُّ قِيلَ لَهُ «اسْتَوىٰ» ... فأبَىٰ وَزَادَ الحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ
قَالَ اسْتَوىٰ «اسْتَولَىٰ» وَذَا مِنْ جَهْلِهِ ... لُغَةً وعَقْلًا مَا هُمَا سِيَّانِ
نُونُ اليَهُودِ وَلَامُ جَهْميٍّ هُمَا ... فِي وَحْيِ رَب العَرْشِ زَائِدَتَانِ

وكَذلِكَ الجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصْفَهُ ... وَيَهُودُ قَدْ وَصَفُوهُ بالنُّقْصَانِ
فَهُمَا إذًا فِي نَفْيِهِم لِصِفَاتِهِ الْـ ... ـعلْيَا كَمَا بَيَّنْتُهُ أخَوَانِ

ثانياً: معنى التعطيل: التعطيل ورد في اللغة بعدة معاني ، منها الترك و التخلية و التسيب و الفراغ ، فالدار إذا تركت و لم تسكن قيل لها دار معطلة ، أو عُطِّلت الدار ، و الإبل تُعَطّل إذا تركت دون راعٍ قال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [سورة التكوير:٤]. و البئر إذا كانت لا تورد و لا يستقىٰ منها فهي بئر معطلة ، قال تعالىٰ : ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [سورة الحج:٤٥]. و المرأة التي ليس عليها حلي و منزوعة الزينة فهي عُطُلا

- **قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) :** " عطل : العين و الطاء و اللام أصل صحيح واحد يدل علىٰ خلو و فراغ .

- **انظر:** كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٢ / ٩) و (٤ / ٤٠٨) و تهذيب اللغة (٢ / ١٦٥ ـ ١٦٦) ، و غريب الحديث / لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢/ ٣٦٣)

- **وانظر في بيان ذلك :** الداء و الدواء ـ الجواب الكافي ـ (١٩٨ ـ ٢٠٠) ، و مدارج السالكين (٢ / ٤٠٢) ، و الوصية الكبرىٰ (١٥) والمجموع (٣ / ٣٧٣) و الفتوىٰ الحموية (٢٧٣) والمجموع (٥ / ٢٧).

والإنكار والنفي إما أن يسلط علىٰ الدليل أو علىٰ الدلالة والتسليط علىٰ الدليل كقول المعطلة أحاديث الآحاد لا يحتج بها في العقيدة أو الأدلة السمعية ظنية لا تفيد اليقين.

- **انظر:** معنىٰ الإنكار في العين (٥ / ٣٥٥) ، و تهذيب اللغة (١٠ / ١٩١) ، و معجم مقاييس اللغة (٥ / ٤٧٦) ، و لسان العرب (٥ / ٢٣٣) .

أو أن يسلط علىٰ الدلالة وهي: نفي الدلالة الظاهرة المفهومة من النص وهذا هو مسلك التأويل (التحريف) الذي تستتر به المعطلة وهو مسلك التفويض الذي عطلت به المفوضة، فإما أن يكون تعطيلاً وجحداً للنصوص ذاتها، أو أن يكون إثباتـًا لألفاظ نصوص الصفات مع تعطيل معانيها الظاهرة كقولهم في الاستواء أنه الاستيلاء واليد القدرة وغير ذلك، وتحريفهم وتعطيلهم لمعاني الصفات بهذه الطريقة أشد من ردها كما سيأتي تقرير ذلك في كلام الدارمي.

فالتعطيل الذي هو إنكار الصفات، إما كليـًا أو جزئيـًا وإما أن يكون صريحـًا أو غير صريح، والصريح كإنكار الصفة مباشرة دون مرورٍ بزندقة التأويل (التحريف) كقول الرجل أنا لا أؤمن أن الله تعالىٰ محبـًا مع وروده بالنص القرآني والسنة الصحيحة، وهذا النوع من التعطيل قليل وقوعه.

والتعطيل غير الصريح: سبيله وبوابته التحريف (التأويل التفصيلي) أو (التفويض) الذي هو: التأويل الإجمالي.

- **قال الشيخ ابن بطة العُكبري الإبانة الكبرىٰ (٣/ ٢٣٩):** فإذا قامت علىٰ الجهمي الحجة وعَلِمَ صحة هذه الأحاديث ولم يقدر علىٰ جحدها، قال: الحديث صحيح؛ وإنما معنىٰ قول النبي ﷺ: «**ينزل ربُّنا في كلِّ ليلةٍ**» ينزل أمرُه.

- **قال في «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٥٠٢):** وإذا قال: لا أكذب بلفظ القرآن -وهو قوله-: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [سورة النساء:١٦٤]، بل أقر بأن هذا اللفظ حق لكن أنفي معناه وحقيقته؛ فإن هؤلاء هم الجهمية الذين اتفق السلف والأئمة علىٰ أنهم من شر أهل الأهواء والبدع حتىٰ أخرجهم كثير من الأئمة عن الثنتين والسبعين فرقة.

- **وقال في «الصواعق المرسلة» (٣/١٠٤٦)** وهو يتكلم عن أنواع التكذيب بنصوص الصفات: ولو أقر بلفظه مع جحد معناه أو حرفه إلىٰ معان أخر غير ما أريد به لم يكن مصدقا بل هو إلىٰ التكذيب أقرب.

- **وقال في «مختصر الصواعق» (١/ ٣٠):** وكتأويل قوله: «إنكم ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر صحوا ليس دونه سحاب، وكما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب» فتأويل الرؤية في هذا السياق بما يخالف حقيقتها وظاهرها في غاية الامتناع وهو رد وتكذيب يستتر صاحبه بالتأويل.

- **وقال في «اجتماع الجيوش» (ص٣٣٣):** وليس مقصود السلف بأن من أنكر لفظ القرآن يكون جهميًّا مبتدعًا، فإنه يكون كافرًا زنديقًا، وإنما مقصودهم من أنكر معناه وحقيقته.

وداء التعطيل هو أصل بلاء العالم، ومنبع كل شر، فإنه لمَّا كان أحبُّ الأشياء إليه حمدَه ومدحَه والثناءَ عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ كان إنكارُها وجحدُها أعظمَ الإلحاد والكفر به، وهو شرٌّ من الشِّرك، فالمعطِّل شرٌّ من المشرك، فإنَّه لا يستوي إنكارُ صفات المَلِك وحقيقةِ مُلكه والطعنُ في أوصافه هو، والتشريك بينه وبين غيره في الملك، فالمعطِّلون أعداءُ الرُّسل بالذات ، فالتعطيل مبدأ الشِّرك وأساسُه، فلا تجد معطِّلًا إلّا وشركُه علىٰ حسب تعطيله، فمستقلٌّ ومستكثر، والشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطِّل، وكل معطِّل مشرك؛ والتّعطيل شرٌّ من الشِّرك، فإنّ المعطِّل جاحدٌ للذّات أو لكمالها، بل كلُّ شركٍ في العالم فأصله التعطيل، فإنَّه لولا تعطيلُ كماله أو بعضِه وظنُّ السَّوء به لما أشرك، فمرض التعطيل ومرض الشرك

أخوين متصاحبين، لا ينفك أحدهما عن صاحبه.

ثالثاً: معنى التكييف: هو اعتقاد أن صفة الله سبحانه علىٰ كيفية معينة فيقال أن صفة الله تعالىٰ صفتها وهيئتها علىٰ صفة كذا، وكشكل كذا وكذا هذا هو التكييف، فلا يقال أن نزول الله تعالىٰ كيفيته كذا وكذا ولا شك أن المكيف قائل علىٰ الله بغير علم، والتكييف هو الشرح في إطلاقات بعض أهل العلم.

فالتكييف: هو حكاية كيفية صفات الله تعالىٰ.

ولا شك في حرمة التكييف، وحرمة الخوض فيه، أن يخوض الإنسان في الكيفية، فقد دلت الأدلة علىٰ تحريم الكلام في الله بغير علم، فأي كيفية يذكرها المكيف، فإنه قائل علىٰ الله تعالىٰ بغير علم، فإنه إن لم يتكلم بذلك عن دليل مأثور في كتاب أو سنة أو أثر، فإنه متكلم علىٰ الله بغير علم، ويكون قد وقع في هذا المنكر العظيم، وهو من أشنع المحرمات.

والقاعدة عند أهل السنة: أن إثباتهم للصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، يعني: أن الله متصف بهذه الصفات علىٰ الحقيقة لا المجاز كما يدعون، وليس إثباتهم لهذه الصفات إثبات تكييف، وإذا قالوا بلا كيف يعنون بذلك: بلا كيف نعلمه، وفي المقابل فإنهم يعتقدون أن لصفات الله تعالىٰ كيفية فكل صفة لا شك أن لها كيفية، لكن علم ذلك موكولٌ إلىٰ الله، فينفون علمهم بالكيفية مع إثباتهم لها حقيقةً.

والتكييف في الجملة داخل في ذم السلف للتمثيل والتشبيه، لأنهم داخلون في هذا الأمر في الجملة، فإن الحقيقة أنَّ كلَّ ممثل فإنه مكيف ولابد، ولا يلزم العكس، لأنه إذا مثل فإنه بالتالي قد خاض في كيفية صفة الله تعالىٰ، لأنه سيمثل بمعلوم، والمعلوم

كيفية صفته معلومة.

أما العكس فإن الأمر ليس بلازم، فقد يكيف المكيف بشيء ليس له مثيل في علم الإنسان، وبالتالي كان مكيفاً غير ممثل.

رابعاً: معنى التمثيل: هو اعتقاد أن صفة الله سبحانه مثل صفة المخلوق.

فيجعل صفات الخالق من جنس صفات المخلوق، فيقول إن الله متصف بصفة اليد ويده كيد الإنسان، أو يقول إن الله ينزل إذا شاء ونزوله كنزول المخلوق.

والتكييف أعم من التمثيل فكل من مثل فقد كيف، ولا يلزم العكس فالتكييف أعم، فالتكييف ليس فيه تقييد بمماثل كما يقول بعض المكيفة قاتلهم الله أن طول الله كعرضه تعالىٰ الله عما يقولون ولم يجعلوا صفة الله كصفة شيء آخر.

بينما الممثل يقول استواء الله كاستواء فلان من الناس علىٰ الدابة، ويد الله كيد فلان من الناس.

والتمثيل داء وقع في الأمة علىٰ قلة وممن قال به الرافضة، فإن الأوائل منهم كانوا ممثلة، وأتباعهم ممن جاءوا بعدهم صاروا معطلة، فجمعوا بين التمثيل والتعطيل، فلم يرزقوا التوفيق لا أولاً ولا آخراً.

وممن قال بالتمثيل حلولية الصوفية وبيان بن سمعان وهشام بن الحكم وكلاهما رافضي والجواربي والجواليقي.

- **قال الخلال في «السنة» (٥/ ١٠٤):** أخبرني أبو بكر بن صدقة، قال: سمعت أبا بكر بن أبي عون، يقول: سمعت يزيد بن هارون، يقول: «الجواربي والمريسي كافران».

- **قال:** وسمعت يزيد بن هارون، وذكر الجواربي، فضربه مثلا، قال: إنما داود الجواربي عبر جسر واسط يريد العبادة، فانقطع الجسر، فغرق من كان عليه، فخرج شيطان فقال: أنا داود الجواربي.

- **وقال وكيع:** وصف داود الجواربي -يعني الرب ﷻ فكفر في صفته فرد عليه المريسي فكفر المريسي في رده عليه إذ قال: هو في كل شيء. أصول الاعتقاد (٣/ ٥٨٧/ ٩٣٥).

- **وقال علي بن عاصم:** تكلم داود الجواربي في التشبيه فاجتمع فيها أهل واسط، منهم محمد بن يزيد، وخالد الطحان، وهشيم، وغيرهم، فأتوا الأمير وأخبروه بمقالته، فأجمعوا علىٰ سفك دمه، فمات في أيامه، فلم يصل عليه علماء أهل واسط». أصول الاعتقاد (٣/ ٥٨٦).

- **وجاء في «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ١٤٥):** مقالة المشبهة الذين يقولون يد كيدي وقدم كقدمي وبصر كبصري مقالة معروفة وقد ذكرها الأئمة كيزيد ابن هارون، واحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية وغيرهم وأنكروها وذموها، ونسبوها إلىٰ مثل داود الجواربي البصري وأمثاله.

وكما أن التعطيل كفر بالله كذلك التشبيه والتمثيل وسيأتي كلام السلف في حكمهما.

والتعطيل والتمثيل كلاهما يصح وصف الضد فيهما علىٰ من وقع في أحدهما فكل معطل ممثل وكل ممثل معطل، فالممثل عطل الله عن كماله الواجب، فإنه لما جعل الصفة مماثلة للمخلوق وليست صفة لائقة بالله، فإنه عطل الله عن بعض كماله،

وعطل النص الذي جاء في هذه الصفة عن مراد الله، فالله ما أراد بهذه الصفة أن تكون دالة علىٰ معنىٰ قول الممثل وعطل النصوص الدالة علىٰ نفي التمثيل، وكل معطل ممثل فالمعطل شبه وقاس الله علىٰ خلقه، فأداه ذلك إلىٰ أن ينفر من آيات الصفات وإجرائها علىٰ ظاهرها فنفاها وحرفها وهذا سيأتي بسطه في مكانه.

وسبب تأصيل هذه القاعدة الأولىٰ هو أن الوحي هو الحق المحض الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما دل عليه الكتاب والسنة ودلت عليه الآثار فهو حق لا يرد عليه شك أو خطأ البتة.

وهذا الباب غيبي وإذا كان غيبياً فإنه لا يجوز أن يتلكم فيه إلا بإخبار عن الله تعالىٰ قال سبحانه ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة:١٤٠].

والأدلة قد تضافرت علىٰ نفي مماثلة الله في خلقه لا في ذاته، ولا في صفاته، وبالتالي فإن الممثل في تمثيله مكذب لأدلة القرآن الصريحة في هذا الباب.

أما من جهة العقل: فإن العقل قد دل دلالة صريحة علىٰ انتقاء أن يكون الله العظيم مماثلاً في صفاته للمخلوق الضعيف الفقير، كيف يُشبه الخالق بالمخلوق، وكيف يماثل بين الصانع والمصنوع؟! هذا لا يكون إلا للانتكاس في فطرة هذا القائل، وإلا فإن كل عاقل يدرك أنه لا يمكن أن يتماثل خالق ومخلوق، ولا يمكن أن يتماثل صانع ومصنوع، ولا يمكن أن يتماثل الكامل من كل وجه بمن كان ناقصاً من كل وجه هذا لا يمكن أن يكون إلا في عقول ضعيفة، وقلوب مريضة ما عظمت الله ولا قدرته حق قدره.

ومثال الإثبات: قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [سورة الكهف:٥٨]، وقال تعالىٰ:

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١﴾ [سورة النساء:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه:٥]، وقال تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [سورة المائدة:١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [سورة طه:٣٩] وقال تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [سورة المائدة:٦٤] وقال تعالىٰ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥]. فأثبتَ لنفسه رُبُوبِيَّتَهُ علىٰ الخَلْق [مِن قَيّومِيَّة ومشيئة وسمع وبصر ومُلْك وتدبير...] وأمرَ بالتوجُّهِ له بالعبادة، ثم نَزَّهَ نفسَه عن أن يَلحَقَهُ مثل أو ند أو عدل غيره وقال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى:١١]. فنفىٰ وأثبت.

- **وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «يبنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».**

متفق عليه.

فما ورد في الكتاب والسنة والآثار وجب إثباته والسلف يشهدون شهادة لا يخالطها أدنىٰ ريب ولا يداخلها شك أن الرسول عرف أمته باب الأسماء والصفات، ولم يتركهم لمجرد عقولهم ومحض آرائهم لأن أسماء الله وصفاته من الأمور الغيبية.

- **أخرج البخاري في «كتاب التفسير» (٤/ ١٨١٦): عن سعيد بن جبير، قال:** قال رجل لابن عباس: إنِّي أجد في القرآن أشياءَ تختلف عَلَيَّ... وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٩٦﴾ [سورة النساء:٩٦]، ﴿عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ [سورة النساء:٥٦، ١٦٥، ١٥٨]، ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [سورة

[النساء: ٥٨]، فكأنّه كان ثم مضىٰ؟... فقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سَمّىٰ نفسَه بذلك، وذلك قولُه، أي: لم يزل كذلك.

بين ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالىٰ هو الذي سمىٰ نفسه بذلك ولم يسمه بذلك أحد من خلقه فدل أنه يقرر باب الأسماء والصفات من جهة خبر الله عن نفسه وخبر الرسول ﷺ.

- **وقال الأوزاعي:** كنا والتابعون متوافرون نقر بأن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

- **وقال الإمام أحمد كما في «الإبانة الكبرىٰ» (٧/ ٣٢٦):** نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدىٰ القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدىٰ ذلك.

- **وقال الدارمي:** ونصفه بما وصف به نفسه، ووصفه به الرسول.

- **وقال الآجري في «الشريعة» (٢/ ١٠٥١):** اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله ﷻ: بما وصف به نفسه ﷻ وبما وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع.

- **وقال البربهاري في «شرح السنة» (ص٤٠):** ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه.

- **وقال ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٦)**: فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا.

- **جاء في «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٢٤): وقال أبو بكر الأثرم في كتاب السنة، وقد نقله عنه الخلال في السنة:** حدثنا إبراهيم بن الحارث -يعني العبادي- حدثني الليث بن يحيىٰ، سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر -هو صاحب الفضيل- سمعت الفضيل بن عياض: يقول: ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:١-٤]، فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع، كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يُباهي، وكما شاء أن يطلع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم أن كيف وكيف، وإذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

- **وقال ابن الماجشون كما في «الإبانة الكبرىٰ» (تتمة الرد علىٰ الجهمية) (٥٩) :**
اعلم -رحمك الله- أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهىٰ بك ولا تجاوز ما قد حد لك فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة: فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيبا؛ ولا تتكلفن بما وصف لك من ذلك قدرا. وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في حديث عن نبيك -من ذكر صفة ربك- فلا تكلفن علمه بعقلك؛ ولا تصفه بلسانك؛ واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل إنكار ما وصف منها؛ فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه:

فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها. فقد -والله- عز المسلمون؛ الذين يعرفون المعروف وبهم يعرف؛ وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر؛ يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما بلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن وما ذكر عن النبي ﷺ أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمي وما وصف الرب تعالىٰ من نفسه. والراسخون في العلم -الواقفون حيث انتهىٰ علمهم الواصفون لربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها- لا ينكرون صفة ما سمي منها جحدا ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا؛ لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمىٰ ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولىٰ ونصله جهنم وساءت مصيرا وهب الله لنا ولكم حكما وألحقنا بالصالحين.

- **وقال أفلح بن محمد كما في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٧٨)** قلت لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن إني أكره الصفة، عنىٰ صفة الرب جل وعز، فقال له عبد الله بن المبارك: أنا أشد الناس كراهة لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه.

- **وقال حنبل كما في «السنة للخلال» (٨٨٩): سألت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل** رضي الله عنه عن هذه الأحاديث التي تروىٰ أن الله تبارك وتعالى يرىٰ وأنه ينزل إلىٰ سماء الدنيا وأنه يضع قدمه وما أشبه ذلك فقال أبو عبد الله رضي الله عنه نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد منها شيئا إذا كانت بأسانيد صحاح ولا نرد علىٰ الرسول ﷺ قوله.

- **وقال أبو بكر المروذي كما في «السنة لأبي بكر بن الخلال» (١/ ٢٤٦)**: سألت

أبا عبد الله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات، والرؤية، والإسراء، وقصة العرش، فصححها أبو عبد الله، وقال: قد تلقتها العلماء بالقبول، نسلم الأخبار كما جاءت، قال: فقلت له: إن رجلا اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت فقال: يجفىٰ، وقال: ما اعتراضه في هذا الموضع، يسلم الأخبار كما جاءت؟

- **وقال المروذي كما في «الشريعة» ص (٣/ ١١٥٤/ ٧٢٦):** أرسل أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة إلىٰ أبي عبد الله يستأذنانه في أن يحدثا بهذه الأحاديث التي تردها الجهمية، فقال أبو عبد الله: حدثوا بها فقد تلقاها العلماء بالقبول، وقال أبو عبد الله: تسلم الأخبار كما جاءت.

- **وقال الإمام أحمد في رواية حنبل كما في «الإبانة للعكبري» كتاب الرد علىٰ الجهمية (٣/ ٥٨/ ٥٠):** ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه.

- **وقال المروذي:** قال أبو عبد الله: ونحن نؤمن بالأحاديث في هذا ونقرها، ونمرها كما جاءت بلا كيف، ولا معنىٰ، إلا علىٰ ما وصف به نفسه تعالىٰ.

- **وقال الشيخ ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرىٰ » (٧/ ٩١)** ﵀: اعلموا رحمكم الله أن من صفات المؤمنين من أهل الحق تصديق الآثار الصحيحة، وتلقيها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس ومواضعة القول بالآراء والأهواء، فإن الإيمان تصديق، والمؤمن هو المصدق، قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء:٦٥]، فمن علامات المؤمنين أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ مما نقلته العلماء، ورواه الثقات من أهل النقل،

الذين هم الحجة فيما رووه من الحلال والحرام والسنن والآثار، ولا يقال فيما صح عن رسول الله ﷺ: كيف؟ ولا لم؟ بل يتبعون ولا يبتدعون، ويسلمون، ولا يعارضون، ويتيقنون ولا يشكون ولا يرتابون.

- **وقال سلام بن أبي مطيع كما روى ابن مندة في كتابه «التوحيد» (٣/ ٣٠٨):** متى ينكرون من هذه الأحاديث شيئا، فإنهم لا ينكرون شيئا إلا في القرآن أبين منه، إنه: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾، وإنه: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٣]، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة النساء:١٦٤]، وقال ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [سورة ص:٧٥]، فما زال يقول حتى غربت الشمس.

- **وروى «عبد الله في السنة» (١/ ٢٨١) «وابن منده في التوحيد» (٣/ ٣٠٩): عن إسماعيل بن إبراهيم الهذلي أنه قال:** من زعم إن الله لا يتكلم، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا يغضب، ولا يرضى، وذكر الأشياء من هذه الصفات، فهو كافر بالله بهذا ندين الله ﷻ.

- **وقال حرب في «مسائله» (ص٤١٤): أملى إسحاق:** إن الله ﷻ وصف نفسه في كتابه بصفات استغنى الخلق أن يصفوه بغير ما وصف به نفسه، من ذلك قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [سورة البقرة:٢١٠].

وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الزمر:٧٥] وآيات مثلها تصف العرش، وقد ثبتت الروايات في العرش، وأعلى شيء فيه وأثبته قول الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه:٥].

- **وقال الدارمي في «النقض» (١/ ٤٢٨):** قال: أخبرنا الله في كتابه أنه ذو سمع،

وبصر، ويدين، ووجه، ونفس، وعلم، وكلام، وأنه فوق عرشه فوق سماواته، فآمنا بجميع ما وصف به نفسه كما وصفه بلا كيف.

- **وقال في «النقض» (١/ ٣٠١):** وكيف استجزت أن تسمي أهل السنة وأهل المعرفة بصفات الله المقدسة: مشبهة، إذ وصفوا الله بما وصف به نفسه في كتابه.

- **وقال في «النقض» (١/ ٣٠٢):** أم هؤلاء الذين سميتهم مشبهة أن وصفوه بما وصف به نفسه بلا تشبيه؟

- **وقال في «النقض» (١/ ٣٠٣):** فإن كنا مشبهة عندك أن وحدنا الله إلها واحدا بصفات أخذناها عنه وعن كتابه فوصفناه بما وصف به نفسه في كتابه، فالله في دعواكم أول المشبهين بنفسه ثم رسول الله الذي أنبأنا ذلك عنه.

- **وقال في «النقض» (١/ ٣١٣):** صفه بما وصف به نفسه، فإنه أعلم بنفسه إنه القوي المتين الغني بجميع صفاته وجميع الذوات وعلىٰ كل الحالات وهو بجميع ذلك إله واحد لا شريك له.

- **وقال في «النقض» (١/ ٤٢٨):** وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه، وصفوه بما وصف به نفسه في كتابه، فإن من زعم أن لله شبها وعدلا فهو كافر.

- **وقال في «النقض» (١/ ٤٢٨):** وقد نفينا عن الله ما نفىٰ عن نفسه، ووصفناه بما وصف به نفسه فلم نعده، وأبيت أن تصفه بما، وصف به نفسه ووصفته بخلاف ما وصف به نفسه.

أخبرنا الله في كتابه أنه ذو سمع وبصر، ويدين، ووجه، ونفس، وعلم، وكلام، وأنه فوق عرشه فوق سمواته، فآمنا بجميع ما وصف به نفسه كما وصفه بلا كيف.

- **وقال في «النقض» (٢/ ٧٤٠):** ولا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه.

- **وقال ابن منده في كتاب «التوحيد» (صـ٤٣٩-٤٤٠):** إن الأخبار في صفات الله ﷻ جاءت متواترة عن نبي الله موافقة لكتاب الله ﷻ، نقلها الخلفُ عن السلف قرنا بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلىٰ عصرنا هذا، علىٰ سبيل إثبات الصفات لله ﷻ، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله ﷻ في تنزيله، وبيَّنه الرسول عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف، وأنه ﷻ أزلي بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها الرسول، غير زائلة عنه، ولا كائنة دونه، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدا.

- **وقال الصابوني:** وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر والعين، والوجه، والعلم، والقوة والقدرة، والعزة والعظمة، والإرادة والمشيئة، والقول والكلام، والرضىٰ والسخط، والحب والبغض، والفرح والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلىٰ ما قاله الله تعالىٰ وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه، بتأويل منكر يستنكر، ويجرون علىٰ الظاهر، ويكلون علمه إلىٰ الله تعالىٰ، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عَن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران:٧].

- **وانظر:** «الرسالة»: (صـ٨)، و«السنة» للخلال: (٦/ ٢٤)، واللالكائي:

(١/١٧٧)، «التوحيد» لابن خزيمة: (١/١٣٧)، «شرح السنة» للبربهاري: (صـ٢٤)، (صـ٦٣)، «أخلاق حملة القرآن»: (صـ٣٦)، «الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت»: (صـ١٧٨)، و«الحجة في بيان المحجة»: (١/١٩٠،١٨٨).

والأسماء والصفات الثابتة بالكتاب والسنة والآثار كثيرة جدًّا دونت فيها الكتب والمصنفات وعد أهل العلم الكثير منها.

ونذكر هنا طائفة منها علىٰ سبيل التمثيل لا الحصر.

- فمن أسماء الله تعالىٰ:

- الحي والقيوم:

دل علىٰ هذين الاسمين الكتاب والسنة. فمن الكتاب قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

ومن السنة: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم في حلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد وتشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ».رواه الحاكم برقم (١٨٥٦)

- الحميد:

دل عليه قول الله عز وجل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [سورة البقرة:٢٦٧].

ومن السنة: حديث كعب بن عُجْرَة في التشهد أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم علمهم أن يقولوا: «اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد». البخاري (٣٣٧٠) ومسلم (٤٠٦).

- الرحمن والرحيم:

دل عليهما قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [سورة الفاتحة:٢-٣].

ومن السنة: أمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم كاتبه يوم الحديبية عند كتابة الصلح بينه وبين المشركين أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم). البخاري (٢٧٣١).

- الحليم:

ودليله من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١﴾ [سورة فاطر:٤١].

ومن السنة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم» البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

- ومن صفات الله:

- أنَّه في السَّماءِ بائنٌ من خلقِه:

- وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

- وقال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [سورة الأعلى:١].

- وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٨].

- وقال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة النحل:٥٠].

- وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك:١٦].

- وقال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة السجدة:٥].

- وقال تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة المعارج:٤] .

- **وأخرج مسلم في «صحيحه» (٥٣٧):** عن مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ : وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَىٰ غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ اللهُ ؟

قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : مَنْ أَنَا ؟

قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : أَعْتِقْهَا ، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ .(١)

- **قال أبو سعيد الدَّارمي:** فَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ البَغْدَادِيُّ الأَصَمُّ ، ثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ شَبِيبِ ابْن شيبة ، عَنْ الحَسَنِ ، عن عِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ ، أَنَّ النَّبِيﷺ ، قَالَ لِأَبِيهِ : يَا حُصَيْنُ ، كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إِلَهًا ؟ قَالَ سَبْعَةً، سِتَّة فِي الأَرْض، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ ، قَالَ فَأَيُّهُم تَعُدُّهُ لِرَغْبَتِك وَلِرَهْبَتِك ؟ قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ .

فَلَمْ يُنْكِرِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الكَافِرِ إِذْ عَرَفَ أَنَّ إِلَهَ العَالَمِينَ فِي السَّمَاءِ ، كَمَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ .

فَحُصَيْنٌ الخُزَاعِيّ فِي كُفْرِهِ يَوْمَئِذٍ ؛ كَانَ أَعْلَمَ بِاللهِ الجَلِيلِ الأَجَلِّ مِنَ المَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ ، مَعَ مَا يَنْتَحِلُونَ مِنَ الإِسْلَامِ ؛ إِذْ مَيَّزَ بَيْنَ الإِلَهِ الخَالِقِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، وَبَيْنَ الآلِهَةِ وَالأَصْنَامِ المَخْلُوقَةِ الَّتِي فِي الأَرْضِ .

وَقَدِ اتَّفَقَتِ الكَلِمَةُ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالكَافِرِينَ أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ ، وَحَدُّوهُ بِذَلِكَ إِلَّا المَرِيسِيَّ الضَّالَّ وَأَصْحَابَهُ ، حَتَّىٰ الصِّبْيَانُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ قَدْ عَرَفُوهُ بِذَلِكَ ، إِذَا حَزَبَ الصَّبِيَّ شَيْءٌ يرفعُ يَدَيْهِ إِلَىٰ رَبِّهِ يَدْعُوهُ فِي السَّمَاءِ دُونَ مَا سِوَاهَا ، فَكُلُّ أَحَدٍ بِاللهِ وَبِمَكَانِهِ أَعْلَمُ مِنَ الجَهْمِيَّةِ . النَّقض (٧٧ – ٧٨)

- وأنَّه لم يَلِد ولم يُولَد :

- قال تعالىٰ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:١-٤] .

- **أخرج التِّرمذي في « جامعه »** : (٣٣٦٤) عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، أَنَّ المُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص:١]. فَالصَّمَدُ : الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:٤] قَالَ : لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[١]

- والأزليَّة ، فاللهُ هو الأوَّل لا شيءَ قبلَه وهو الآخرُ فليس بعدَهُ شيء :

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [سورة الحديد:٣] .

- والحياة:

وهي من صفات الله الذاتية.

وهي مشتقة من اسمه الحي

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

- والقدرة، لربوبيَّتِهِ العامَّة وخلقِهِ الأكوانَ وتدبيرِهِ شؤونَها:

وهي صفة ذاتية لله تعالىٰ ثابتة بالكتاب والسنة. ومعنىٰ ذاتية: أي ملازمة لذات الله لا تنفك عنه سبحانه.

- قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢﴾ [سورة الحديد:٢].

- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [سورة فاطر:٤٤].

- والعلم، لخلقِهِ كلَّ شيءٍ:

- قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [سورة الملك:١٤] .

- قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [سورة الطلاق:١٢] .

- والرِّزق:

- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [سورة الذاريات:٥٨] .

- قال تعالىٰ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [سورة النحل:١١٤] .

- **والإحياءِ والإماتة:**

- قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة غافر:٦٨]

- **والسَّمعِ والبصر:**

- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة النساء:٥٨].

- قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١] .

- قال تعالىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة طه:٤٥-٤٦]..

- **أخرج أبو داود في «سُننه»: (٤٧٢٨)** عن أَبِي يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [سورة النساء:٥٨] إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة النساء:٥٨]. ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ . قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ يَعْنِي: إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا . قَالَ أَبُو دَاوُد: وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ . « سنن أبي داود | بابٌ في الجهميَّة » .

- **والكلامِ بحرفٍ وصوت:**

- قال تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٦٢-٦٧].

- قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [سورة طه:٨٩] .

فعابَ اللهُ أوثانَ المشركين لعجزِها عن سماعِهِم وتكليمِهِم ؛ لأنَّ السَّمعَ والكلامَ بحرفٍ وصوت من كمالِ صفةِ الرَّبِّ ﷻ .

- قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [سورة النازعات:١٥-١٦].

- قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣] .

- قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة النساء:١٦٤].

- **أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في « السُّنَّة » : (٥٣٣)** عن عَبْدِ اللهِ : إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ ﷻ بِالْوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالَ: سَكَنَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، نَادَىٰ أَهْلُ السَّمَاءِ : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالَ ﷺ الْحَقَّ قَالَ كَذَا وَكَذَا.

- عن وَائِلِ بْنِ دَاوُدَ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة النساء:١٦٤] قَالَ : مُشَافَهَةً مِرَارًا.(١)

- **واليدِ والأصابع:**

- قال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة ص:٧٥].

- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزمر:٦٧].

- **قال تعالىٰ:** ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝٧١﴾

[سورة يس:٧١] .

- **أخرج البخاري في «صحيحه»:** (٦٩٧٨) عن عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ **إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ وَالْخَلَائِقَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ** ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [سورة الزمر:٦٧].

- **قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ** : وَزَادَ فِيهِ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَبِيدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّبًا **وَتَصْدِيقًا لَهُ** .[1]

- **أخرج البخاري في « صحيحه»:** (٢٧٨٨): عن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ : **يَأْخُذُ اللهُ** ﷻ **سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ** ، فَيَقُولُ أَنَا اللهُ ، **وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا** ، أَنَا الْمَلِكُ، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّىٰ إِنِّي لَأَقُولُ أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ .[1]

- **والعينان:**

وهي صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

- قال تعالىٰ : ﴿ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [سورة المؤمنون:٢٧] .

- قال تعالىٰ : ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة الطور:٤٨] .

- قال تعالىٰ : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [سورة طه:٣٩] .

- **وأنَّه خلقَ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على صورتِه :**

- **أخرج البخاري في « صحيحه » : (٦٢٢٧):** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ** طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّىٰ الآن . « صحيح البخاري | باب بدء السَّلام» .

- **أخرج مسلم في «صحيحه»:** (٢٨٤٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ **فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ.** [(١)]

- **وأنَّ المؤمنينَ يرونَه يومَ القيامة:**

- قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣].

- قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦] .

- **أخرج أبو القاسم اللَّالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» :**

(٧٩٨) عن قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦] قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ نَادَاهُمْ رَبُّهُمْ : إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمُ الْحُسْنَىٰ وَهِيَ الْجَنَّةُ **وَالزِّيَادَةُ : النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ الرَّحْمَن** ، قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣].

فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣]. **فَرَوَىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ النَّظَرُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ وَبِهِ قَالَ مِنَ التَّابِعِينَ : الْحَسَنُ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَمُجَاهِدٌ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، وَقَتَادَةُ ،**

وَالضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ : مَالِكٌ ، وَالشَّافِعِيُّ أَنَّهُمَا اسْتَدَلَّا عَلَىٰ جَوَازِ الرُّؤْيَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ .(١)

- أخرج البخاري في « صحيحه » (٤٣٠٥): عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه : أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَعَمْ ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ، قَالُوا : لاَ ، قَالَ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ : قَالُوا : لاَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ عز وجل يَوْمَ القِيَامَةِ ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا ... حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا .(١)

- **والاستواء:**

وهو صفة فعلية لله تعالىٰ ثابتة بالكتاب والسنة.

- قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥].

- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

- قال تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الرعد:٢] .

واستوىٰ علىٰ عرشه بمعنىٰ علا وارتفع وجلس عليه

- **والنّزول:**

- **أخرج البخاري في « صحيحه»: (١١٤٥):** عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **يَنْزِلُ رَبُّنَا** تبارك وتعالى **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا** حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ .(١)

- **والمجيء:**

- قال تعالىٰ: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ**﴾ [سورة البقرة:٢١٠].

- قال تعالىٰ: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ**﴾ [سورة الأنعام:١٥٨] .

- قال تعالىٰ: ﴿**وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر:٢٢] .

- **أخرج البخاري في «صحيحه» : (٤٣٠٥)"** عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، **أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ** فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا ، الحديث. « صحيح البخاري | باب قوله : ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ [سورة النساء:٤٠] (النساء : ٤٠) ؛ يعني زِنَةَ ذرَّةٍ » .

- **والضَّحك:**

- **أخرج البخاري في « صحيحه » :** (٢٨٢٦): عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ : يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ .(١)

- **أخرج ابن ماجه في «سُننه »** : (١٨٠) عن أَبِي رَزِينٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ . قَالَ: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا .(١)

- والسَّاق :

- قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة القلم:٤٢].

- **روىٰ عبد الرَّزَّاق الصَّنعاني في «تفسيره»**: (٣٢٩٣) عن الثَّوْرِيِّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ ا عَنْ أَبِي صَادِقٍ ا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [سورة القلم:٤٢]

قَالَ : عَنْ سَاقِهِ يَعْنِي سَاقَهُ تبارك وتعالى. « تفسير عبد الرَّزَّاق الصَّنعاني » .

- **أخرج البخاري في «صحيحه»** : **(٤٩١٩)** عن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، وَيَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا .(١)

- والقدم :

وهي صفة ذاتية ثابتة للرب عز وجل بالأحاديث الصحيحة.

- **أخرج البخاري في «صحيحه »** : **(٦٦٦١)** عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ ، وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ .(١)

- **أخرج البخاري في «صحيحه»** : **(٧٤٤٩)** عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَىٰ رَبِّهِمَا ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ : يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ

النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ؟ وَقَالَتِ النَّارُ : يَعْنِي أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا ، قَالَ : فَأَمَّا الْجَنَّةُ : فَإِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا ، فَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، ثَلَاثًا ، حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ وَتَقُولُ : قَطْ قَطْ قَطْ. « صحيح البخاري | باب ما جاء في قول الله تعالىٰ : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [سورة الأعراف:٥٦]

- **أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في « السُّنَّة » : (٥٨٦)** عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدِّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ .

«السُّنَّة لعبد الله بن أحمد سُئل عمَّا رُوي في الكرسي وجلوس الرَّبِّ عز وجل عليه » .

القاعدة الثانية: صفات الله تعالى توقيفية.

تعليق

هذه قاعدة عظيمةٌ ومرتكزٌ أساسٌ وفارقٌ مهمٌ بين أهل الضلال وأهل الحق، فأهل السنة يعتقدون أن هذا الباب بابٌ توقيفيٌ، ومعنىٰ أنه توقيفي أي أن إثبات الأسماء والصفات إنما تكون من جهة الكتاب والسنة والآثار، فلا تتجاوز هذه الأصول، ولا نزيل عن الله ﷻ اسمـًا أو صفةً، لشناعة أحدٍ من المشنِّعين، فالمرجع في الأسماء والصفات هذه الأصول، وسبب ذلك أن صفات الله تعالىٰ من الغيب بالنسبة لنا، لأننا لم نر الله تعالىٰ ولم نر مثيلا له.

إذاً: لا سبيل لنا إلىٰ معرفة ذلك إلا من الكتاب والسنة والآثار وهذا لا يختلف فيه العقلاء.

فلا يسمىٰ و لا يوصف إلا بما ورد به النص من كلام الله أو كلام رسوله وآثار السلف؛ ذلك أن باب الأسماء والصفات باب إخبار ، والأخبار في هذا الباب مصدرها كلام الله ﷻ و كلام رسوله الثابت عنه وآثار السلف.

قال تعالىٰ ـ واصفـًا إبليس: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٣٣].

و وصفُ الله بما لم يصف به نفسه و لم يصفه به رسوله من القول عليه بغير علم.

وقال تعالىٰ ذاماً لأهل الكتاب الذين وصفوه بغير سلطان و لا برهان: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨﴾ [سورة يونس:٦٨].

وقال تعالىٰ ـ محذراً من القول بلا علم ـ : ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [سورة الإسراء:٣٦].

إذ أن الغيب لا سبيل إلىٰ استفادة علم منه إلا من خلال ثلاث طرق:

١- إما من خلال رؤيته وبالتالي ينتقل من كونه غيباً إلىٰ كونه شهادة.

٢- أو من خلال رؤية مثيل له فيقاس النظير علىٰ نظيره.

٣- أو من خلال خبر صادق.

أما رؤية الله في الدنيا فإنها غير كائنة وسيأتي بيان هذه المسألة تفصيلاً في باب الرؤية.

وأما رؤية نظيرٍ له فلا شك أن ذلك من أمحل المحالات أن يكون لله نظير ومثيل

قال الدارمي: لم نُكَلَّف معرفة كيفيةِ نزولِهِ في ديننا، ولا تَعْقِلُهُ قلوبُنا، وليس كمثله شيءٌ من خلقه؛ فنشبه منه فعلا أو صفة بفعالهم وصفتهم.

- **وقال العلثي:** «ولو أن مخلوقا وصف مخلوقا مثله بصفات من غير رؤية ولا خبر صادق، لكان كاذبا في إخباره.»

وقال: والعجب ممن ينتحل مذهب السلف، ولا يرىٰ الخوض فى الكلام. ثم يقدم علىٰ تفسير ما لم يره أولا، ويقول: إذا قلنا كذا أدىٰ إلىٰ كذا، ويقيس ما ثبت من صفات الخالق علىٰ ما لم يثبت عنده. فهذا الذىٰ نهيت عنه.

قال: وليس الكلام في الله وصفاته بالهين حتىٰ يلقىٰ إلىٰ مجاري الظنون.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى:١١] فنفىٰ الله تعالىٰ أن يكون لذاته مِثل.

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [سورة الإخلاص:٤].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ [سورة النحل:٧٤].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥].

ومتىٰ تكلمت عن أمرٍ غيبي بغير هذه الطرق والمسالك فإنك لا شك أن تكون قائلاً بغير علم، ولذا أنكر الله تعالىٰ علىٰ المشركين الذين تكلموا في أمرٍ غيبي ما شهدوه فقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [سورة الزخرف:١٩]، قال تعالىٰ: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ﴾ [سورة الزخرف:١٩]، **يعني:** هل كانوا حاضرين حتىٰ تكلموا بهذا الكلام الذي لا أثارة عليه من علم، تكلموا في شأن خلق الملائكة وأنهم إناث بغير علم.

إذاً: الله جَلَّ جَلَالُهُ لا يمكن لأحد أن يتكلم في شيء يتعلق به إلا بطريق من هذه الطرق، وطريقان منها موصدان، فبقي عندنا الطريق الثالث، وهو: أن يأتي خبرٌ صادقٌ، والخبر الصادق جاءنا عن الله من طريق نبيه ﷺ الذي قال الله عنه: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤﴾ [سورة التكوير:٢٤]، وفي قراءة (بظنين).

وبالتالي: فإن علىٰ الإنسان أن يؤمن بما جاء من طريق النبي عن ربه من الأسماء والصفات.

فالكتاب والسنة هما الحق المحض ولا يطرق الخطأ إليهما البتة، قال الله تعالىٰ في كتابه ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢﴾ [سورة فصلت:٤٢]،

وقال عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤]، فإذا كان ذلك كذلك فعلىٰ الإنسان أن يعتصم بما جاء في الكتاب والسنة والآثار، هذا هو الأمر الأسلم الذي تُحفظ به عن الوقوع في الخطأ، وأما سوىٰ ذلك فكل كلام تجاوز هذه الأصول في هذه المطالب الإلهية فإنه عن هوىٰ ولابد، ما ثمَّ إلا وحيٌ وهوىٰ، وليس هناك أمر ثالث.

تأمل في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [سورة القصص:٥٠].

وتأمل في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤].

وتأمل في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [سورة المائدة:٤٨]، فالمقابلة دائمًا تكون بين الوحي والهوىٰ، إذاً: ما ثمَّ إلا وحيٌ أو هوىٰ مهما تشكَّل ومهما تَسَّمىٰ ومهما تصَّور، مهما قال صاحب الهوىٰ: إنه حديث القلب عن الرب، أو أنه علمٌ بباطنٍ أو ظاهر، أو أنه معقولٌ، أو أنه كشفٌ، أو أنه رؤية منام، فالحقيقة في هذا كله راجعةٌ إلىٰ شيءٍ واحد وهو أن كل متكلمٍ في الله تعالىٰ من غير طريق الوحي والآثار فإنه متكلم بالهوىٰ، ولا شك أنه الهوىٰ مذموم في عامة النصوص.

ولا يفهم من كونها توقيفية أن يكون إدراكها كلها متوقفٌ علىٰ الخبر بل العقل والفطرة يدركان جملة من الصفات كالعلو والسمع والبصر والكلام والحياة والقدرة والعلم وغيرها وقد سبق الكلام علىٰ درجة هذه الصفات وأنها مدركة بالعقل والفطرة السليمة كذلك وسيأتي تفصيل ذلك في أبواب الصفات المشار إليها.

لكن هنا تنبيه مهم: وهو أن مخاطبة الله لعباده بأوصافه التي هي غيب بالنسبة إليهم

لا يتأتىٰ إلا بإخبارهم عن ألفاظ فيها نوع اشتراك بينها وبين ما يعرفه المخاطبون ليعرفوا ويفهموا هذه الأوصاف التي أخبرهم الله بها وإلا فلو خوطبوا بما لا يعرفون لجهلوا معنىٰ ما أخبروا به وهذا إنما ذكرته للتمييز بين مسلك المعطلة ومسلك أهل السنة في القدر المشترك.

- **قال أحمد في «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة» (ص٩٨):** فإذا سألهم الناس عن قول الله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما هو علىٰ العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم، ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة، ولا يفعل ولا له غاية، ولا له منتهىٰ. ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، ولا يكون فيه شيئان، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلىٰ ولا أسفل، ولا نواحي ولا جوانب، ولا يمين، ولا شمال، ولا هو خفيف ولا ثقيل، ولا له لون، ولا له جسم، وليس هو بمعلوم ولا معقول وكل ما خطر علىٰ قلبك أنه شيء تعرفه فهو علىٰ خلافه.

قال أحمد: وقلنا: هو شيء.

فقالوا: هو شيء لا كالأشياء.

فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل، أنه لا شيء.

فعند ذلك، تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية.

قلت: بين أحمد أن الله شيء ويشترك مع غيره في مسمىٰ ذلك اللفظ وأما القول بأنه شيء لا كالأشياء فبين أن هذا قد عرف أهل العقل أنه لا شيء فنفي القدر المشترك إلحاد وتعطيل لأسماء الله وصفاته.

- **وقال الإمام الآجري في الشريعة (٢ / ١٠٥١)** : اعلموا وفقنا الله و إياكم للرشاد من القول و العمل أن أهل الحق يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه ﷻ ، و بما وصفه رسول الله ﷺ ، و بما وصفه به الصحابة ﵃، و هذا مذهب العلماء ممن اتبع و لم يبتدع ، و لا يقال فيه : كيف ؟ بل التسليم له و الإيمان به .

- **وقال ابن منده في «التوحيد لابن منده» (١/ ٢٥٦ ت الفقيهي)**: ذكر آية تدل علىٰ وحدانية الخالق بأنه خلق الخلق، وجعلهم سميعـًا وبصيراً يسمعون ويبصرون، وهي من الأسماء المستعارة من أسماء الله تعالىٰ لخلقه ليعرفوا نعمة الله تعالىٰ عليهم بذلك، فتسمىٰ بالسميع البصير وسمىٰ عبده سميعـًا بصيراً، فاتفقت الأسماء واختلفت المعاني إذ لم يشبه من جميع الجهات، قال الله تعالىٰ منبها علىٰ قدرته علىٰ ذلك: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [سورة الإنسان:٢]، ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [سورة الإنسان:٣]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٢٣﴾ [سورة الملك:٢٣].

- **وقال في التوحيد (١/ ٤٤٠)**: «فبَيَّنَ مُرادَ الله تعالىٰ فيما أخبر عن نفسه ﷻ وبيّن أن نفسه قديم غير فان بفناء الخلق، وأن ذاته لا يوصف إلا بما وصف سبحانه. ووصفه النبي ﷺ لأن المُجاوِزَ وَصْفَها يوجِبُ المُمَاثلة، والتمثيل والتشبيه لا يكون إلا بالتحقيق ولا يكون باتفاق الأسماء».

- **وقال ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٧٩):** وكل من فهم عن الله خطابه: يعلم أن هذه الأسامي التي هي لله تعالىٰ أسامي، بين الله ذلك في كتابه وعلىٰ لسان نبيه ﷺ، مما قد أوقع تلك الأسامي علىٰ بعض المخلوقين، ليس علىٰ معنىٰ تشبيه المخلوق بالخالق، لأن الأسامي قد تتفق وتختلف المعاني.

- **وقال في كتاب التوحيد (١ / ٢٦ ـ ٢٧) : (في إثبات الوجه لله) :** "فنحن و جميع علمائنا من أهل الحجاز و تهامة و اليمن ، و العراق و الشام و مصر ، مذهبنا أنَّا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، و نصدق ذلك بقلوبنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين ، و جل ربنا عن مقالة المعطلين ، و عز أن يكون عدمـًا كما قاله المبطلون ؛ لأن ما لا صفة له عدم ، تعالىٰ الله عما يقول الجهميون ، الذين ينكرون صفات خالقنا ، الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله ، و علىٰ لسان نبيه محمد.

- **وقال القصاب في «النكت الدالة علىٰ البيان في أنواع العلوم والأحكام» (٤/ ٤٢٧):** قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [سورة الجن:٣].

دليل علىٰ أن العرب تسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة، إذ الجد في هذا الموضع العظمة والجلال، وفي غيره البخت وأبو الأب.

وفيه -أيضـًا- رد علىٰ المعتزلة فيما يزعمون: أن الشيء إذا سمي به شيء لم يعد به إلىٰ غيره، وقد لخصنا خطأه عليهم في غير موضع.

ومثله قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ [سورة الجن:٧] و «الأحد» اسم من أسماء الله ﷻ.

وفيه -أيضا- حجة علىٰ تسمية المخلوقين بأسماء الخالق ﷻ.

إذا ما بقي إلا الخبر ولابد أن يكون الخبر مستفادا من طريق مأمونة حتىٰ يكون العلم علمًا صحيحًا.

- **وقال الدارمي في «النقض» (١/ ٢٢٠):** أما ما ذكرت من اجتهاد الرأي في تكييف صفات الرب؛ فإنا لا نجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض، والأحكام التي نراها بأعيننا، وتسمع في آذاننا؛ فكيف في صفات الله التي لم ترها العيون، وقصرت عنها الظنون.

- **وقال الشافعي في مقدمة كتابه «الرسالة» (ص٨):** ولا يبلغ الواصفون كُنه عظمته.

الذي هو كما وصف نفسه،

وفوق ما يصفه به خلقه.

قلتُ: هذه الجملة نفيسة جداً، وفيها معاني جليلة رغم اختصارها، وهذه الجملة مما تؤكد عقيدة الشافعي في توحيد الأسماء والصفات.

فبين فيها ؒ أن الكيفية للصفات مجهولة، وأنه يجب علينا إثبات ما أثبته الله لنفسه، فالصفات توقيفية، والمرجع فيها نصوص الوحي والآثار.

- **ومن أجل ما يبين أن الهدىٰ في هذا الباب هو الوحي ما جاء في حديث أبي موسىٰ وفيه:** يجمع الله الأمم يوم القيامة في صعيد واحد، فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه؛ مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون، فيدرجونهم حتىٰ يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا ونحن في مكان، فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المؤمنون، فيقول: ما تنتظرون؟

فنقول: ننتظر ربَّنا، فيقولُ: مِنْ أين تعلمون أنه ربُّكُم؟ فيقولون: حدَّثَتْنَا الرسلُ، أو جاءتنا، أو ما أشبه معناه...

فمن كان متبعـًا للرسل مصدقـًا ما جاءت به عرف ربه ومن كان مصدره زبالات المتكلمين فلا شك أنه سيهوي في جهنم خلف هواه ورأيه.

- **قال الدارمي**: فإذا كان يوم القيامة تجلىٰ لمن آمن به وصدق رسله وكتبه وآمن برؤيته وأقر بصفاته التي وصف بها نفسه، حتىٰ يروه عيانا.

- **وقال:** واحتجب من خلقه بحجب النار والظلمة، كما جاءت به الآثار، ثم أرسل إليهم رسله، يعرفهم نفسه بصفاته المقدسة، ليبلو بذلك إيمانهم أيهم يؤمن به ويعرفه بالغيب ولم يره، وإنما يجزي العباد علىٰ إيمانهم بالله بالغيب، لأن الله ﷻ لو تبدىٰ لخلقه وتجلىٰ لهم في الدنيا لم يكن لإيمان الغيب هناك معنىٰ، كما أنه لم يكفر به عندها كافر، ولا عصاه عاص، ولكنه احتجب عنهم في الدنيا، ودعاهم إلىٰ الإيمان به بالغيب، وإلىٰ معرفته، والإقرار بربوبيته ليؤمن به من سبقت له منه السعادة، ويحق القول علىٰ الكافرين. ولو قد تجلىٰ لهم لآمن به من في الأرض كلهم جميعا بغير رسل ولا كتب، ولا دعاة، ولم يعصوه طرفة عين، فإذا كان يوم القيامة تجلىٰ لمن آمن به وصدق رسله وكتبه وآمن برؤيته وأقر بصفاته التي وصف بها نفسه، حتىٰ يروه عيانا، مثوبة منه لهم وإكراما، ليزدادوا بالنظر إلىٰ من عبدوه بالغيب نعيما، وبرؤيته فرحا واغتباطا، ولم يحرموا رؤيته في الدنيا والآخرة جميعا، وحجب عنه الكفار يومئذ إذ حرموا رؤيته كما حرموها في الدنيا ليزدادوا حسرة وثبورا.

بين أن الخلق لا يستطيعون وصف الله تعالىٰ من تلقاء أنفسهم وبما توحي إليهم

عقولهم.

ولا يمكن بحال أن يتعارض المنقول الصحيح مع المعقول الصريح وسيأتي الكلام علىٰ هذه القاعدة تفصيلاً في باب الرد علىٰ من قدم العقل علىٰ النقل، فباب الصفات باب توقيفي ليس لنا أن نقول علىٰ الله بشيء خارج عما جاء في الوحي والآثار.

وأهل السنة لا يفرقون بين الأدلة السمعية من حيث الأخذ بها، فما جاء في الكتاب والسنة والآثار فعلىٰ الرأس والعين، وما جاء في الكتاب فحسب فعلىٰ الرأس والعين، وما جاء في السنة فحسب فعلىٰ الرأس والعين، وما جاء في سنة متواترةٍ أو آحادٍ فعلىٰ الرأس والعين، وما جاء في الآثار فعلىٰ الرأس والعين، وما تلقي بالقبول بين أهل السنة فعلىٰ الرأس والعين، ولا يفرقون بين الأدلة في هذا الباب والكل حجةٌ، والكل مقبولٌ.

- **قال علي بن زيد بن جدعان:** بلغ مصعبا شيء عن عريف الأنصار، فهم به، فأتاه أنس فقال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (استوصوا بالأنصار خيرا، اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم).

فألقىٰ مصعب نفسه عن السرير، وألزق خده بالبساط، وقال: أمر رسول الله ﷺ علىٰ العين والرأس؛ وتركه.

أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٠-٢٤١)، وابن سعد (٢/ ٢٥٣).

وقد انحرفت طوائف من أهل البدع في هذا الأصل، وقرروا أصلين هما من أعظم أصول الضلال والانحراف في باب الصفات خصوصـًا، وفي غيره من أبواب الاعتقاد عمومـًا:

الأصل الأول: أنهم يزعمون أن الحجة في باب الصفات إنما هي في السنة المتواترة، وأما أحاديث الآحاد فمطرحةٌ غير مقبولة، وبالتالي فإنهم يكونون قد اطرحوا أكثر السنة، وسيأتي الكلام علىٰ أصلهم الكفري هذا في باب أصول الاستدلال عند الجهمية وأفراخهم الأشعرية.

الأصل الثاني: أنهم زعموا أن الأدلة النقلية جملةً وتفصيلاً سواءً عادت إلىٰ آيات الكتاب أو إلىٰ أحاديث السنة كلها دلالتها ظنية وإن كانت قطعية الثبوت بمعنىٰ: أن كل دليل نقلي جاء في الكتاب والسنة فإنه لا يخرج عن الظن عندهم، وسيأتي الكلام علىٰ هذا الأصل كذلك في فصل أصول استدلالهم.

بينما شرط أهل السنة في الاحتجاج والقبول هو الثبوت وليس التواتر.

فكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله من أسماء الله وصفاته، فواجب علىٰ العبد أن يؤمن به، وأن يوقن، وأن يعتقد أن الله تعالىٰ مُتَسَم بهذا الاسم، ومُتَصفٌ بتلك الصفة.

القاعدة الثالثة: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

تعليق

هذه القاعدة من أهم القواعد في باب الرد علىٰ المخالفين لأهل السنة في باب الصفات ومضمونها أنه لا فرق بين الصفات الواردة في الكتاب والسنة والآثار.

فمن أثبت شيئا منها ألزم بإثبات الباقي ومن نفىٰ شيئا منها ألزم بنفي ما أثبته وإلا كان متناقضا فيجب إثباتها جميعا لوجوب التسوية بين المتماثلات فإن الأدلة قد جاءت بها من غير تفريق بين صفة وصفة لأن الموصوف بها واحد.

فإذا أثبتنا صفة السمع والبصر والحياة والعلم والقدرة والإرادة ونحوها لله تعالىٰ مع إثباتنا أنه ليس كمثله شيء، فكذلك ينبغي أن نثبت ما دل عليه الوحي كصفة (المحبة، الرضا، الغضب، اليد، العين، الاستواء علىٰ العرش، المجيء يوم القيامة، النزول إلىٰ سماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، ونحوها) و(ليس كمثله شيء) فالبابُ واحد.

- **روىٰ عبد الله في «السنة» (١/ ١٦١): عن سليمان بن حرب، قال:** «القرآن ليس بمخلوق»، فقلت له: إنك كنت لا تقول هذا فما بدا لك، قال: استخرجته من كتاب الله ﷻ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [سورة آل عمران:٧٧]. فالكلام والنظر واحد.

فبين ﵀ أن القول في الكلام والنظر واحد لا يجوز التفريق بينهما لورود الأدلة بهما فمن نفىٰ النظر يلزمه أن ينفي الكلام ومن أثبت النظر لزمه أن يثبت الكلام لأن القول فيهما واحد والتفريق بينهما تحكم.

- **وروىٰ ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٧/ ٢٠٦): عن يحيىٰ بن معين أنه قال:** إذا قال لك الجهمي: كيف ينزل؟ فقل: كيف صعد.

بين رحمه الله أن القول في النزول كالقول في الصعود.

- **وروىٰ ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٦/ ٢٥٠): عن أحمد أنه قال:** قال لهم يعني: المعتصم: كلموه، فقال لي عبد الرحمن: «ما تقول في القرآن»، فقلت: ما تقول في علم الله، فسكت.

- **وقال الإمام أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الله الرباطي:** حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم -يعني: ابن راهويه- فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: نعم.

فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم. قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: أثبته فوق حتىٰ أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبته فوق.فقال له إسحاق: قال الله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر:٢٢].

- **فقال الأمير عبد الله بن طاهر كما في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٤٨):** يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة! فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟!.

بين رحمه الله أن القول في المجيء يوم القيامة كالقول في النزول لا فرق بينهما لأن القول في البعض هو كالقول في البعض الآخر.

- **وقال ابن خزيمة في «التوحيد » (١/ ٦٤):** فالحليم والعليم اسمان لمعبودنا جل وعلا، قد سمىٰ بهما بعض بني آدم، ولو لزم -يا ذوي الحجا- أهل السنة والآثار إذا

أثبتوا لمعبودهم يدين كما ثبتهما الله لنفسه وثبتوا له نفسا عز ربنا وجل، وإنه سميع بصير، يسمع ويرىٰ، ما ادعىٰ هؤلاء الجهلة عليهم أنهم مشبهة، للزم كل من سمىٰ الله ملكا، أو عظيما، ورءوفا، ورحيما، وجبارا، ومتكبرا، أنه قد شبه خالقه ﷻ بخلقه، حاشا لله أن يكون من وصف الله عز وعلا بما وصف الله به نفسه، في كتابه، أو علىٰ لسان نبيه المصطفىٰ ﷺ مشبها خالقه بخلقه.

- **وقال ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٧/ ٣٢١):** فهذه كلها وأمثالها، ونظائرها وما لم نذكره من صفات الله التي وصف خلقه بمثلها وهو مع ذلك ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى:١١] كما أنه لم يبطل قولنا: فلان قوي عزيز، وفلان رحيم، وفلان حليم، وفلان عالم، وفلان ملك قومه، وأشباه ذلك، فذلك كله لا يبطل شيئا من صفات الله التي وصف بها نفسه.

بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله تعالىٰ وصف نفسه بصفة الوجه، ووصف خلقه به، ووصف نفسه بالسمع والبصر، ووصف الإنسان بذلك، ووصف نفسه بصفة اليد، ووصف خلقه بذلك، ووصف نفسه بالعلم، ووصف خلقه بذلك، وكذلك الحلم، والقوة، والعزة، والملك، والحياة، **ثم يقول:** فهذه كلها وأمثالها، ونظائرها وما لم نذكره من صفات الله التي وصف خلقه بمثلها وهو مع ذلك ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى:١١]، كما أنه لم يبطل قولنا: فلان قوي عزيز، وفلان رحيم، وفلان حليم، وفلان عالم، وفلان ملك قومه، وأشباه ذلك، فذلك كله لا يبطل شيئا من صفات الله التي وصف بها نفسه، ولم يفرق رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين الصفات الخبرية كاليد والوجه وبين غيرها من الصفات.

- وانظر: **«التبصير» (١٤٦-١٤٣).**

القاعدة الرابعة: الكلام في الصفات كالكلام في الذات.

تعليق

فكما أن ذات الله تعالىٰ حقيقية لا تشبه الذوات، فهي متصفة بصفات حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين وكما أن إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية كذلك إثبات الصفات.

فالصفات والأفعال تتبع الذات المتصفة الفاعلة، فإذا كانت ذاته مباينة لسائر الذوات ليست مثلها لزمها ضرورة أن تكون صفاته ﷻ مباينة لسائر الصفات ليست مثلها ونسبة صفاته إلىٰ ذاته كنسبة صفة كل موصوف إلىٰ ذاته، ولا ريب أنه العلي الأعلىٰ العظيم، فهو أعلىٰ من كل شيء، وأعظم من كل شيء، فلا تكون صفاته إلا مناسبة لذاته ﷻ والمخاطب بهذا الأصل المعطلة والمشبهة، فكل من أثبت لله ذاتًا لا تماثل ذوات المخلوقين فإنه يلزمه أن يثبت لله صفات لا تماثل صفات المخلوقين.

قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١].

فنفىٰ الله تعالىٰ أن يكون لذاته مثل ثم أثبت لنفسه السمع والبصر فإثبات السمع والبصر له داخل في نفي المماثلة لذاته فكما أنه ليس لذاته مثل فكذلك ليس لصفاته مثل فدل ذلك علىٰ أن الكلام في الصفات كالكلام في الذات.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص:٤].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ [سورة النحل:٧٤].

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة مريم:٦٥].

قال ﷻ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [سورة النحل:١٧].

قال ﷷ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾ [سورة البقرة:٢٢].

وقال المشركون: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩٨﴾

[سورة الشعراء:٩٧-٩٨].

- **أخرج ابن جرير (١٥/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم -كما في «الفتح» (٦/ ٤٦٨): روي عن عبد الله بن عباس -من طريق علي- في قوله:** ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾، قال: هل تعلم للربِّ مثلًا أو شبهًا.

- **جاء في «الصواعق المرسلة» (١/ ٢٣٠): وقال الإمام أحمد:** إنما التشبيه أن يقول: يد كيد أو وجه كوجه.

فأما إثبات يد ليست كالأيدي، ووجه ليس كالوجوه، فهو كإثبات ذات ليست كالذوات، وحياة ليست كغيرها من الحياة، وسمع وبصر ليس كالأسماع والأبصار.

- **وقال الدارمي في «النقض» (ص١٠٥):** وكما أنه ليس كمثله شيء، فليس كيده يد.

وقال: فكما أنه ليس كمثله شيء؛ فليس ككلامه كلام.

- **وقال في «النقض» (ص٣٣٠):** والنفس تجمع الصفات كلها، فإذا نفيت النفس؛ نفيت الصفات، وإذا نفيت الصفات؛ كان لاشيء.

- **وقال أبو نصر السِّجزي في رسالته إلىٰ أهل زبيد في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت (ص١٥٣):** ومنكر الصفة كمنكر الذات.

- **وقال أيضًا في (ص٢٨١):** الفصل الثامن: في بيان أن الذي يزعمون بشاعته من

قولنا في الصفات ليس علىٰ ما زعموه، ومع ذلك فلازم لهم في إثبات الذات مثل ما يلزمون أصحابنا في الصفات.

- **وقال الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٤٨):** فلما صحَّ خبر النزول عن الرسول ﷺ أقرَّ به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول علىٰ ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهًا له بنزول خلقه، ولم يبحثوا عن كيفيته؛ إذ لا سبيل إليها بحال، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالىٰ الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوًّا كبيرًا، ولعنهم لعنًا كثيرًا.

القاعدة الخامسة: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو نفاه عنه رسوله ﷺ أو أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين مع اعتقاد ثبوت كمال ضده لله تعالى وصفات الله تثبت على وجه التفصيل وتنفى النقائض على وجه الإجمال.

تعليق

نصوص الوحي تأتي بنفي مجمل للنقائص والعيوب وإثبات مفصل لصفات الكمال، فالإثبات المفصل كإثبات السمع والبصر والرؤية واليد والساق والوجه والكلام والنزول أي ذكر آحاد الصفات وأعيانها.

والنفي المجمل كنفي المثلية كما في قوله تعالىٰ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى:١١].

وقد اتبع السلف طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فأثبتوا أسماء الله تعالىٰ وصفاته إثباتًا مفصلًا؛ بذكر آحادها؛ لأنها كلها صفات كمال، والغالب فيها التفصيل؛ لأنه كلما كثر الإخبار عنها وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما لم يكن معلومًا من قبل، ودونك بعض الأمثلة علىٰ هذا التفصيل في القرآن الكريم:

قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، فيه اسمان عليهما مدار الأسماء الحسنىٰ كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعًا، وهما اسم (الحي القيوم)؛ فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته.

وقوله سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ [سورة الإخلاص:١-٢]. فليس لله

مكافئ البتة، لا في ذاته ولا في شيء من صفاته.

وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سورة الحديد:٣-٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة البينة:٨].

وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٢٨﴾ [سورة محمد:٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [سورة النساء:٩٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [سورة النساء:١٦٤].

وقوله سبحانه: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [سورة مريم:٥٢].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [سورة يس:٨٢].

وقوله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف:١٥٦].

وكذلك جاءت الأحاديث بالإثبات المفصل غالبًا، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

وقوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ» الحديث.

وقوله ﷺ: «اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ» الحديث.

وقوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ».

هذه الآيات والأحاديث وغيرها الكثير قد جاءت بالتنصيص علىٰ الأسماء

والصفات وتعيينها وتخصيصها دون إجمالها وإبهامها مما يدل علىٰ أن هذه طريقة القرآن والسنة.

فكما اتبع السلف طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية في الإثبات اتبعوها في النفي، وقد جاء نفي بعض الأمور عن الله تعالىٰ علىٰ سبيل الإجمال أي: دون ذكر آحاد الصفات المنفية؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى:١١]، وقوله سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾ [سورة الأنعام:١٠٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥].

- **وجاء في «تفسير الطبري» (١٨/ ٢٢٦): روي عن ابن عباس، قوله** ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥] يقول: هل تعلم للربّ مثلاً أو شبيهـًا.

- **وقال الإمام أحمد كما في «الإبانة الكبرىٰ - ابن بطة» (٧/ ٣٢٦):** نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه.

- **وقال ابن منده في «التوحيد» (ص٤٤٣):** «فوصف نفسه بالسميع والبصير واليمين وانتفىٰ من التمثيل والتقدير.

قلت: والنفي المجمل يدل علىٰ الكمال المطلق.

وقد يأتي النفي مفصلًا:

والأدوات التي تستعمل للنفي في لسان العرب (ليس -ولا -ولم -وما -ولن).

ومن القواعد في هذا الباب أن كل نقص نزه عنه المخلوق فالخالق أحق بأن ينزه عنه.

فكل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يوصف به الخالق، فالخالق أحق بثبوته منه إذا كان مجردًا عن النقص، وكل نقص حقيقي نزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه

عنه.

وهنا تنبيه علىٰ أن هناك صفات هي كمال في المخلوق لنقصه ونقص في الخالق لكماله مثل التزاوج والتكاثر فالإنسان لأنه يلحقه الموت كان من كماله أن يكون له نسل والله غني عَن ذلك تقدس اسمه والمعطلة يخلطون بين هذا الباب وسيأتي تفصيل هذه المسألة.

نفي صفات النقائص نوعان:

المتصلة: كالتعب، النوم، السنة، الجهل، النسيان، العجز.

المنفصلة: كالزوجة، الولد، الشريك.

من أمثلة الصِّفات المنفيَّة:

قال ﷻ: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [سورة طه:٥٢].

قال تبارك وتعالىٰ: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه **قال:** قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام..**» رواه مسلم (٣٦٤).

نفي السمي والند والكفؤ والولد، والشريك والولي والصاحب.

صفات منفية منفصلة:

قَوْلُهُ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥].

وقوله ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:٤].

وقوله ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢﴾ [سورة البقرة:٢٢].

وقوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة البقرة:١٦٥].

قال ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [سورة الإسراء:١١١].

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الفرقان:٢].

قال ﷻ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة المؤمنون:٩١-٩٢].

قال ﷻ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ﴾ [سورة الأنعام:١٠١].

قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ﴾ [سورة البقرة:١١٦].

- وجاء في «صحيح البخاري» (٦/ ١٨ ط السلطانية): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا».

ونفى أن يحيط أحد بعلمه:

قال ﷻ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة طه:١١٠].

ونفى عن نفسه أن يخلف الميعاد:

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [سورة آل عمران:٩].

قال ﷻ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ﴾ [سورة إبراهيم:٤٧].

قال ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ١٩٤﴾ [سورة آل عمران:١٩٤].

قال ﷻ: ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ [سورة البقرة:٨٠].

الإطعام:

قال ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [سورة الأنعام:١٤].

الإعياء واللغوب:

قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٣٣﴾ [سورة الأحقاف:٣٣].

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ٣٨﴾ [سورة ق:٣٨].

البخل:

قال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة:٦٤].

- أخرج ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٧/ ٦٥٧٥): عن عبد الله بن عباس -من طريق عكرمة- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [سورة المائدة:٦٤]، أي: بخيلة.

الخفاء والعزوب:

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ٥﴾ [سورة آل عمران:٥].

قال ﷻ: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾ [سورة غافر:١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ [سورة سبأ:٣].

الخوف:

قال ﷻ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾ [سورة الشمس:١٤-١٥].

رؤية الله بالدنيا بالأبصار:

وسيأتي الكلام عليها تفصيلا في باب الرؤية.

الصمم والغيبة:

- **جاء في «صحيح البخاري» (٦/ ٢٦٩٠ ت البغا):** عَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كبَّرنا، فَقَالَ: **«ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أصمَّ وَلَا غَائِبًا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا»**.

وغيرها من الصفات المنفية عنه سبحانه كالضلال والظلم والظهير والعبث واللعب والعجز والعور والغفلة والفقر والكذب، والموت والنعاس والنوم.

ضابط الصِّفات المنفيِّة عن اللَّه تعالى:

ضابط النَّفي عند أهل السُّنَّة والجماعة ما اجتمع فيه أمران:

نفي النَّقص الحقيقي.

نفي مماثلة غيره له في صفات الكمال.

أمَّا المعطِّلة من الجهميَّة وغيرهم، فضابط النَّفي عندهم هو: «توهُّم التَّشبيه» فنفوا جميع صفات الله تعالىٰ الواردة في الكتاب والسُّنَّة بحجَّة أنَّ في إثباتها تشبيه الله تعالىٰ

بخلقه.

وتنفى الصفات السلبية مع إثبات كمال الضد:

مثل:

١- نفي الموت يتضمن كمال حياته.

٢- نفي الظلم يتضمن كمال عدله.

٣- نفي العجز يتضمن كمال علمه وقدرته.

إذاً: عليك أن تعلم أن منهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات المنفية يرجع إلىٰ ضوابط محرَّرة ومُقَعَّدة وإليك بعضها.

الضابط الأول: أن تعلم أن النفي عائد إلىٰ معنيين هما:

١ - نفي النقائص والعيوب عن الله.

٢- نفىٰ المشاركة له في كماله.

الضابط الثاني: أن النفي جاء في القرآن والسنة علىٰ ضربين:

١ - المجمل.

٢- المفصل.

الضابط الثالث: أن كل نفي جاء في الكتاب والسنة -مجملاً كان أو مفصلاً- فإنما يراد به إثبات كمال الضد؛ بمعنىٰ: أنه إذا ورد النفي المجمل في الصفات فإنه يدل علىٰ ثبوت الكمال المطلق لله كل نفي مجمل: فإنه دليل علىٰ ثبوت الكمال المطلق، دل عليه بدلالة اللزوم.

أما النفي المفصل: فإن كل صفة منفية لله إنَّما أُريد بها، وإنَّما تدلُّ علىٰ ثبوت كمال

ضدها.

فإذا أخبر الله بأنَّه لا يموت فهذا يُستفاد منه إثبات الحياة الكاملة له.

إذا أخبر الله أنه لا يتعب: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ٣٨﴾ [سورة ق:٣٨]، -يعني: تعب- فإن هذا يدل علىٰ كمال قدرة الله، إذا نفىٰ الله له عن نفسه صفة اللعب فإن هذا يدل علىٰ كمال حكمة الله، وهلم جرا.

كلُّ نفي جاء في النصوص فإنَّه يدل علىٰ ثبوت ضد هذه الصفة التي هي صفة كمال؛

يعني: الضد هو صفة الكمال لله.

لما يقول أهل السنة والجماعة ذلك؟

الجواب: أن النفي من حيث هو لا يُراد لذاته إنما يُراد لغيره، فنقول: النفي في الصفات جاء في النصوص مرادًا لغيره لا لذاته.

بمعنىٰ: أن النفي المجمل إنَّما أُريد به إثبات الكمال المطلق، والنفي المفصل -يعني: الصفات المنفية مُفصلاً- فكل صفةً تدلُّ علىٰ إثبات كمال ضدها، لما؟

١) لأن النفي لا يُراد لذاته، إنما يُراد لغيره، وهو في هذه الحالة يكون حقا وكمالًا.

بيان ذلك: أن النفي من حيث هو عدم والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحًا، والله لا يوصف إلا بما يُمدح به، فلا أحدَ أحبَّ إليه المدح منه، أما العدم المحض فإنَّه لا يستفاد منه شيء، ليس كمالاً، وليس مدحًا، فلأي شيء يوصف الله به؟

٢) أنَّ النفي قد يكون لعدم قابلية المحلّ، وهو في هذه الحال ليس كمالًا وقد

اتفقنا علىٰ أن الله لا يوصف إلا بالكمال، وإلا بما هو مدح.

لما نفىٰ الله عن نفسه الظلم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [سورة يونس:٤٤]، دل هذا علىٰ مدح عظيم له وهو ثبات كمال عدالته هاهنا وكان هذا النفي في حقه مدحًا ودليلاً علىٰ ثبوت الكمال.

وطريقة القرآن والسنة، بل طريقة الأنبياء فيما أخبروا به عن الله ترجع إلىٰ مسلك يختلف عن مَسْلَكِ المتكلمينَ أهل البدع؛ بمعنىٰ: أنَّك إذا طالعت أدلة الكتاب والسنة، وما قرره السلف الصالح في هذا الباب، وقارنته بما قرره المتكلمون وأهل البدع فإنَّه يتبين لك امْتِيَازَ المنهجين، وأنَّ هذا مُخالِفُ تمامًا لهذا.

بيان ذلك: أن طريقة القرآن ومنهج الرسل الأصل فيها: أن يكون النفي مجملاً، وأن يكون الإثبات مفصلًا إلا هذه حالة استثناء- إلا إذا اقتضت المصلحة التفصيل في النفي.

بيان ذلك: أنَّ التفصيل في الإثبات -يعني كونك تمدح الله بصفات تفصيلية كثيرة- هذا أبلغ في المدح، التفصيل في الإثبات أبلغ في المدح، والإجمال في النفي أبلغ في دفع النقص.

ولذا إذا تأملت في نصوص الكتاب والسنة وجدت:

١- أنَّ أدلة الإثبات المفصَّل أكثر من أدلة النفي المفصل.

٢- أنَّ أدلة النفي المجمل أكثر من الأدلة التي دلت علىٰ النفي المفصل، أدلة التسبيح فقط أكثر من جميع أدلة الصفات المنفية تفصيلاً.

إذًا: هذا يدلك علىٰ أن هذا هو الأصل في هذا الباب، الأصل في باب وصف الله

لهم أن تُجمل في النفي؛ ليكون هذا أبلغ في دفع النقص، وأن تُفصَّل في الإثبات؛ لأن هذا أبلغ في المدح، وهذا ما يعقله الناس، من قام بين يدي سلطان فأثنىٰ عليه بصفاتٍ كثيرة مما يُمْتَدَح به مُفَصَّلًا فَإِنَّ هذا يُعتبر أكثر مدحًا، إذا أثنىٰ عليه بالكَرَمِ، وإذا أثنىٰ عليه بالحلم، وإذا أثنىٰ عليه بالقوة، وإذا أثنىٰ عليه بالشجاعة، كان هذا أبلغ في مَدْحِه.

كذلك إذا أجمل في النفي فإنَّه أَبْلَغُ مِنَ التَّفصيل في النفي، فإنَّه إذا قال: (أنت لست كأحد من رعيتك)، هذا نفي مجمّل، فهو أبلغ مما لو قال له: أنت لست جبانًا، وأنت لست حقيراً، وأنت لست وضيعـًا، وأنت لست كذا ولست كذا فإن هذا لا يُعتبر في حقه مدحًا، ولا يعتبر فيه دفع للنقص، بل ربما يكون إلىٰ العكس أقرب.

لكن عندنا استثناء هاهنا وهو: أن تقتضي المصلحة التفصيل في النفي، وهذه قاعدة مُطَّرِدَة في جميع الصفات المنفية تفصيلاً، فإنَّك إذا رُزقت حسن التأمل تجد أن لكل صفة منفية علىٰ وجه التفصيل سببـًا يدعو إليها، إذا اقتضت الحكمة والمصلحة أن يُفصل في هذا النفي.

من تلك الأسباب:

السبب الأول: دفع توهم النقص في صفة الله، مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان:٥٨]، نفىٰ سبحانه الموت عن نفسه في هذا السياق -والله تعالىٰ أعلم-؛ لدفع ظَن أن حياة الله قد يعتريها نقص كما هو الشأن في حياة المخلوقين، دفع الله لك هذا التوهم بقوله: الَّذِي لَا يَمُوتُ.

كذلك قول النبي لما سمع أصحابه يرفعون أصواتهم بذكر الله ودعاءه، قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا» كان ذلك أيضًا لدفع

أي توهم للنقص في كمال الله أو في صفاته الكاملة.

السبب الثاني -الذي يمكن أن يُلتمس من هذه الأدلة التفصيلية في النفي-: الرد علىٰ ما افتراه المفترون في حق الله من ذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق:٣٨]، لما قال اليهود -عليهم من الله ما يستحقون-: «إِنَّ الله تَعِبَ بعد خلق السماوات والأرض، رد الله عليهم هذا الافك فقال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

لما ادعىٰ النصارىٰ أن لله ولداً، رد الله له ذلك، قال: ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [سورة مريم:٩١-٩٢].

السبب الثالث: أن يكون النفي مُفيدًا معنىٰ التهديد كما جاء في قول الله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة البقرة:٧٤]، تُلاحظ أنَّ هذه الآية فيها نفي يُستفاد منه فكان من الحكمة ورودُ هذا النفي في هذا الموضع.

السبب الرابع: أنْ يُؤتَىٰ بالنفي لأجل تكميل معنىٰ الصفة الثابتة، من ذلك قوله كما في «صحيح مسلم»: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»، تُلاحظ أنَّ هذا النفي سيق لأجل تكميل معنىٰ الصفة الثابتة، وهي: صفة الأولية، وصفة الآخرية، وصفة الظهور.

إذا: الأصل في هذا الباب أن يكون النفي مجملاً وأن يكون الإثبات مفصلاً إلا لاقتضاء حكمة التفصيل في النفي.

الضابط الخامس عند أهل السنة في هذا الباب: أنَّ النفي في باب الصفات توقيفي

كالإثبات؛ يعني: كما أننا لا نثبت لله صفة إلا بدليل، فكذلك لا ننفي عن الله صفة إلا بدليل، وهذا الدليل قد يكون وارداً في الكتاب والسنة صراحةً، وقد يكون مستفادًا من كونه ضِدَّ الصفة الثابتة.

إذَا ثبت في صفةٍ أَنَّ لها ضِدّا، فإن دليل الصفة الثابتة هو الدليل علىٰ نفي الصفة المنفية.

يعني: لو ادعىٰ مُدَّعٍ ثبوت مثل هذه الصفات لله، كما تجد عند اليهود في «تُلْمُودِهم».

أنهم نسبوا إلىٰ الله الحزن، نسبوا إلىٰ الله البكاء، ذكروا افتراءات كثيرة علىٰ الله، هاهنا علىٰ المسلمين أن ينفوا هذا، ما الدليل؟

أنَّ هذه صفات نقص.

أدلة الصفات الثبوتية تدلُّ علىٰ بطلانها، وعدم جواز وصف الله بها، تدل علىٰ نفيها عن الله.

هذا ملخص كلام أهل السنة والجماعة في باب النفي، وأنت إذا تأملته وجدته مخالفًا تمام المخالفة لما عليه مسلك المتكلمين، إذا أخذت كتابًا من كتب المتكلمين، ونظرت فيه في باب الصفات تجد أنَّ الأصل عندهم في معرفة الله النفي، تجد أنهم أول ما يبدئون في الكلام عن صفات الله تجدهم يقولون: ليس فوق ولا تحت، ولا عن يمين، ولا عن شمال، ولا داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا بذي جسم، ولا بذي لحم، ولا بذي عظم، ولا... ولا... ولا... في نفي يَنْقُلُ كثيرًا علىٰ الأذهان، وتمجه القلوب، ولم يأت في كتاب الله، ولا كان علىٰ هذا نهج رسل الله أنهم يجعلون الأصل

في معرفة الله لهذا الأسلوب في النفي، عدا كون كثيرًا مما ذكروا أصلا لا دليل عليه، لا دليل علىٰ نفيه عن الله بخلاف ما عليه نهج القرآن والسنة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الحشر:٢٣-٢٤].

كيف تلحظ الفرق بين المتكلمين وما جاء في كتاب الله، وما مضىٰ عليه أهل السنة والجماعة، الأصل عند أهل السنة والجماعة أن يكون العلم بالله من باب الصفات المثبتة، والصفات المنفية لم ترد لذاتها، إنَّما أُريدت لغيرها، إنَّما أُريدت لتكميل الإثبات؛ لأن كل صفة منفية فإنَّما يراد بها إثبات كمال الضد.

القاعدة السادسة: صفات الله تعالى وأسماؤه يثبت الواحد منها بحديث واحد صحيح أو أثر واحد صحيح وإن كان آحادا فالعبرة بالصحة لا بالتواتر.

فأسماء الله وصفاته تثبت بالسنة الصحيحة ولا عبرة بالتواتر والتفريق بين متواتر وآحاد قول محدث بل إنما وضع لتعطيل الأخبار وإبطالها.

- **جاء في «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص٣٥):** وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار.

وسيأتي تقرير هذه القاعدة علىٰ وجه التفصيل في باب حجية السنة.

ولا فرق عند أهل السنة والجماعة أن تثبت الصفة أو الاسم من آية في الكتاب أو خبر عن الرسول صلىٰ الله عليه أو أثر عن صحابي من أصحاب النبي ﷺ والقاعدة

المتبعة عندهم أن الاعتماد علىٰ الثبوت لا غير فالعبرة بالثبوت لا بالتواتر.

القاعدة السابعة: معاني صفات الله تعالى المأثورة في الكتاب والسنة والآثار معلومة وتفسر على الحقيقة وعلى ظاهرها الذي خوطبت العرب به فليست مجازا ولا استعارة فيها البتة أما الكيفية فمجهولة.

تعليق

فإذا وصف الله تعالىٰ نفسه بصفة أو وصفه بها رسوله ﷺ أو الصحابة رضوان الله عليهم فلا يجوز صرفها عن ظاهرها اللائق بالله تعالىٰ وحقيقتها المفهومة منها إلىٰ باطن يخالف الظاهر إلا أن يكون معه دليل شرعي يوجب صرف اللفظ عن ظاهره ولا يجوز أن يقال أن القرينة العقلية الكلامية تصرف نصوص الصفات عن ظاهرها إلىٰ معنىٰ يخالف الظاهر لأن الله تعالىٰ أخبر أن كلامه هدىٰ ورحمة للمؤمنين ونحن نعتقد أن القرآن أنزله الله نوراً ومبيناً وتبياناً وبياناً وهدىٰ وبشرىٰ للمسلمين فلا بد أن يكون ظاهره مراداً لله تعالىٰ.

ومعلوم أن المتكلم الذي أخبر أن كلامه بلاغ مبين وهدىٰ للناس إذا أراد بكلامه ما لا يدل عليه، ولا يفهم منه إلا بمثل القرينة العقلية لم يكن قد بين وهدىٰ، وهذا مما اتفق المسلمون علىٰ وجوب تنزيه الله ورسوله عنه، فظاهر النصوص مراد والواجب إجراء هذه النصوص علىٰ ظاهرها إن كنا نعتقد أن هذا القرآن كتاب هداية وليس كتاب ضلال، فلا يمكن أن يكون كتاب هداية وظاهره غير مراد فهذا تناقض بين.

يخبرنا الله تعالىٰ عن نفسه في آيات كثيرة أنه فوق خلقه ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل:٥٠]. وقال تعالىٰ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأنعام:١٨]. يخبرنا عن نفسه أنه في

السماء يخبرنا أن الأشياء تنزل من عنده وتصعد الأشياء إليه، وأنه الظاهر فليس فوقه شيء، ثم نقول المراد من هذه النصوص المتواترة في إثبات الفوقية والعلو علو الذات أنها جميعها علىٰ خلاف ظاهرها والواجب أن تعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت وليس له مكان هذا لا يمكن أن يكون في كتاب هداية هذا يمكن أن يكون إذا كان المقصود التعجيز والإضلال وحصول الشقاء.

والقرآن والوحي منزه عن ذلك ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢﴾ [سورة طه:٢]. فالقرآن نزل للاهتداء بل لا سبيل للاهتداء إلا به ﴿وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ [سورة سبأ:٥٠].

بينما المعطلة وصلت شدة مناقضتهم للظاهر واضطرارهم للتحريف أن يقولوا في تحريف هذه الآية ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [سورة الملك:١٦] أن المقصود في قوله من في السماء ملك من الملائكة.

فبالله يا أهل التوحيد ويا أيها العقلاء أي شيطان يخطر علىٰ باله هذا المعنىٰ.

وقالوا أن المراد بحديث النزول «أن الله تعالىٰ ينزل إذا بقي ثلث الليل الآخر» قالوا الذي ينزل ملك من الملائكة فهل يعقل يا ذوي الحجىٰ أن يقول الملك هذا من يسألني فأعطيه من يدعوني، فأستجيب له من يستغفرني فأغفر له فهل بعد هذا الشرك من شرك، وماذا أبقوا للصابئة وهذا كقولهم في تكليم الله لموسىٰ وأن الشجرة هي التي كلمت موسىٰ بألفاظ الربوبية

وقال رازيهم الأكفر: الإشارة بالأيدي إلىٰ الفوق قد تكون إلىٰ الملائكة التي هي مدبرة أمر العباد.

هذه تقريرات من جعل كلام أفلاطون وأرسطو حاكماً متسلطاً علىٰ كلام رب العالمين وسنة سيد المرسلين.

ولا شك أن من جوز رفع الأيدي عند الدعاء إلىٰ غير الله فهو من المشركين الذين يدعون غير الله .

ثم إن النبي ﷺ لا ينبهنا ولو لمرة واحدة فأحاديث النزول متواترة وأحاديث الرؤية كذلك يرويها عشرات الصحابة ولم يقل مرة واحدة لصحابي من الصحابة حذار أن تفهم من هذا الكلام أن الله ينزل بذاته إنما ينزل أمره وهذا نزول ملك من الملائكة ولو اعتقدتم أن الله ينزل بذاته لكفرتم.

ثم الصحابة وهم بالعشرات رضوان الله عليهم يروون هذه الأحاديث وهي بالمئات ولم يقل واحد منهم لأحد التابعين ولو لمرة انتبهوا فالكلام علىٰ خلاف ظاهره والظاهر تشبيه وكفر وتجسيم.

ثم التابعون كذلك مع أتباع التابعين، وأئمة الهدىٰ بعدهم، بل تواترت أقوال السلف علىٰ وجوب حمل نصوص صفات الله تعالىٰ من الكتاب والسنة والآثار علىٰ ظاهرها، مع إثبات معانيها علىٰ الوجه اللائق به سبحانه، وقطع العلائق عن إدراك كيفيتها.

وصدق من قال:

فَسَلِ المُعطِّلَ عَنْ ثلَاثِ مَسَائِلِ ... تَقْضِي عَلَىٰ التعْطِيلِ بالبُطْلانِ
مَاذَا تقُولُ أكَانَ يَعْرفُ ربَّهُ ... هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ العِرْفَانِ
أَمْ لَا؟ وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحتُهُ لَنَا ... كُلَّ النصِيحَةِ لَيْسَ بالخَوَّانِ
أَمْ لَا؟ وَهَلْ حَازَ البلاغَةَ كلَّهَا ... فاللفْظُ والمعْنَىٰ لَهُ طَوْعَانِ؟

فـإذَا انْتهَـتْ هَـذِي الثلَاثَـةُ فِيـهِ كَـا ... مِـلَـةً مـبرَّأَةً مِـنَ الـنُـقْصَـانِ
فَـلأَيِّ شَـيءٍ عَـاشَ فِـينَـا كَـاتِـمًا ... لِـلـنَّـفْـي والـتَّـعْـطِـيل فِي الأَزْمَـانِ
بَلْ مُفْصِحًا بالضِّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةَ الْـ ... إفْصَاح مُوضَحَةً بكلِّ بَيَانِ
ولأَيِّ شَـيءٍ لَـم يُصَـرِّحْ بـالَّـذِي ... صَـرَّحْـتُـمُ فِـي رَبِّـنَـا الـرَّحْـمـنِ
أَلِـعَـجْـزِهِ عَـنْ ذَاكَ أَمْ تَـقْصِـيـرِهِ ... فِي النُّصْح أمْ لِخَفَاءِ هَذَا الشَّانِ؟
حَاشَاهُ بَلْ ذَا وَصْفُكُم يَا أمَّة التَّـ ... ـعْطِيل لَا المبْعُوثِ بالقُرْآنِ

وإمرار الصفات علىٰ ظاهرها قاعدة عظيمة من قواعد هذا التوحيد، وهي من أهم قواعد الأسماء والصفات.

والظاهر في الصفات هو المعنىٰ المتبادر إلىٰ الذهن الذي يفهمه صاحب اللسان من وضع الكلمة أو من تركيبها، ولا يجوز العدول عنه إلا بدليل، وهذا الدليل لا بد أن يكون شرعيًّا، فلا بدَّ من دليل يبيِّن المعنىٰ المراد بدل الظاهر، والدليل هو قرينة السياق أو التقييد أو التخصيص وغيرها من الأمور التي يقيَّد بها النص.

فقد كان الأعرابي يأتي النبي ﷺ فيخبره النبي بنصوص الصفات معتمدا في بيان معاني تلك النصوص علىٰ ما يتبادر إلىٰ ذهن ذلك السامع من لسانه العربي ولا يصرفها عن ظاهرها.

فإن الظواهر في باب الأخبار إذا لم تكن مقصودة للشارع، فإنه يلزم من ذلك أن الشارع لم يكن قاصدًا للبيان في أعظم أبواب الدين، ولم يأت بما يوجب العلم في ذلك، ويزيل الشبهة ويقطع لسان المعاند، وهذا إزراء بالشرع والعقل، وردٌّ لهما معا، فإن العقل يشهد بأن النص جاء للهدَىٰ والبيان، وأنه شفَىٰ الصدور فيما حارت فيه من أمر الغيب بالأخبار، أو بتبيين أن التسليم هو الطريق الصحيح لتناول قضية معينة، فأخبار

الله ﷻ حق وصدق، ومحال عليه سبحانه أن يبين الأحكام الشرعية أكمل بيان ثم يتكلَّم في أعظم أبواب الدين بالألغاز أو بما ليس علىٰ ظاهره.

- **قال الشافعي كما في «المناقب» (ص٢٣٢):** الحديث علىٰ ظاهره، فإذا احتمَل المعاني؛ فما أشبهَ ظاهرَه أولىٰ به.

- **وقال في «الرسالة» (ص٣٤١):** فكل كلام كان عامـًا ظاهراً في سنة رسول الله فهو علىٰ ظهوره وعمومه حتىٰ يُعْلَمَ حديثٌ ثابِتٌ عَن رسول الله بأبي هو وأمي يدل علىٰ أنه إنما أريد بالجملة العامة في الظاهر بعضُ الجملة دون بعض كما وصفت من هذا وما كان في مثل معناه.

- **وقال في «اختلاف الحديث» (٨/ ٥٩٢):** القرآن عربي كما وصفت، والأحكام فيه علىٰ ظاهرها وعمومها، ليس لأحد أن يحيل منها ظاهرا إلىٰ باطن، ولا عاما إلىٰ خاص إلا بدلالة من كتاب الله، فإن لم تكن فسنة رسول الله تدل علىٰ أنه خاص دون عام أو باطن دون ظاهر، أو إجماع من عامة العلماء الذين لا يجهلون كلهم كتابا ولا سنة، وهكذا السنة، ولو جاز في الحديث أن يحال الشيء منه عن ظاهره إلىٰ معنىٰ باطن يحتمله كان أكثر الحديث يحتمل عددا من المعاني ولا يكون لأحد ذهب إلىٰ معنىٰ منها حجة علىٰ أحد ذهب إلىٰ معنىٰ غيره، ولكن الحق فيها واحد؛ لأنها علىٰ ظاهرها وعمومها إلا بدلالة عن رسول الله، أو قول عامة أهل العلم بأنها علىٰ خاص دون عام، وباطن دون ظاهر، إذا كانت إذا صرفت إليه عن ظاهرها محتملة للدخول في معناه.

وهذا من أبلغ الرد علىٰ من يقول إن ظاهر نصوص الصفات أو بعضها غير مراد

وأن لها معاني باطنة غير ما يظهر منها من غير أن يقيم علىٰ دعواه دليلا من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ.

- **قال أبو منصور الأزهري اللغوي في الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ص٤٩٥):** وكل باطنٍ يدّعيه مُدّعٍ في كتاب الله يُخالف ظاهر كلام العرب الذي خُوطبوا به فهو باطل؛ لأنه إذا جاز لهم أن يدّعوا فيه باطنـًا خلاف الظاهر، جاز لغيرهم ذلك وهو إبطال للأصل.

وإنما زاغوا عن إنكار القرآن ولاذَوا بالباطن الذي تأوّلوه؛ ليغروا به الغِرّ الجاهل، ولئلا يُنسبُوا إلىٰ التعطيل والزندقة.

- **وقَالَ الإمام أحمد كما في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤٢):** الحديث عندنا علىٰ ظاهره، كما جاء عَن النبي ﷺ والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به كما جاء علىٰ ظاهره.

- **وقَالَ عبدوس بن مالك كما في «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٦٨):** سمعت أبا عبد الله يقول: والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روي عَن النبي ﷺ في الأحاديث الصحاح، وأن النبي ﷺ قد رأىٰ ربه، فإنه مأثور عَن رسول الله ﷺ صحيح. قد رواه قتادة، عَن عكرمة، عَن ابن عباس ورواه الحكم بن أبان، عَن عكرمة، عَن ابن عباس ورواه علي بن زيد، عَن يوسف بن مهران، عَن ابن عباس والحديث عندنا علىٰ ظاهره، كما جاء عَن النبي ﷺ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به كما جاء علىٰ ظاهره، ولا نناظر به أحدًا.

- **وروىٰ ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٧/ ٣٢٧) عن المروذي أنه قال:** سألت أبا

عبد الله عن أحاديث الصفات، قال: نمرها كما جاءت.

- **وقال أحمد كما في «السنة لعبد الله بن أحمد» (١/ ٢٨٠):** هذه الأحاديث(الصفات) نرويها كما جاءت.

- **وقال أحمد كما في «السنة لأبي بكر بن الخلال» (٤/ ٢٣):** وأن تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل علىٰ معناها أو معنىٰ ما أراد الله ﷻ أو أثر، قال المروذي: أو أثر عن أصحاب الرسول ﷺ، ويعرف ذلك بما جاء عن النبي ﷺ أو عن أصحابه، فهم شاهدوا النبي ﷺ، وشهدوا تنزيله، وما قصه له القرآن، وما عني به، وما أراد به، وخاص هو أو عام، فأما من تأوله علىٰ ظاهر بلا دلالة من رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه، فهذا تأويل أهل البدع، لأن الآية قد تكون خاصة ويكون حكمها حكما عاما، ويكون ظاهرها علىٰ العموم، فإنما قصدت لشيء بعينه.

قلت: قرر أحمد رحمه الله أن تأويل أهل البدع هو تأويل من تأول القرآن عن ظاهره بلا دلالة من رسول الله ولا أحد من أصحابه فإن الرسول هو المعبر عن كتاب الله وأصحابه أعلم بذلك من غيرهم.

- **قال الدارمي:** ليعلم من بقي من الناس أن من مضىٰ من الأمة لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله ﷻ، لا يعرفون له تأويلا غير ما يتلىٰ من ظاهره.

قلت: وهذا يفيد الإجماع علىٰ ذلك.

- **وقال في «النقض» (ص١٢٢):** والقرآن عربي مبين، تصرف معانيه إلىٰ أشهر ما تعرفه العرب في لغاتها، وأعمها عندهم فإن تأول متأول مثلك، جاهل في شيء منه خصوصا، أو صرفه إلىٰ معنىٰ بعيد عن العموم بلا أثر، فعليه البينة علىٰ دعواه وإلا

فهو علىٰ العموم أبدا، كما قال الله تعالىٰ.

قرر الدارمي رحمه الله ما قرره أحمد من قبله وما قرره الشافعي من قبلهما أن من صرف نصـًا من النصوص إلىٰ معناه البعيد، فعليه أن يأتي بأثر وبينة علىٰ دعواه كما بين أن القرآن عربي مبين فيجب أن تصرف معانيه إلىٰ أشهر ما تعرفه العرب في لغاتها فلا يحكم للأغرب من كلام العرب علىٰ الأغلب.

- **وقال في النقض: (ص٣٣/ ٣٣٣):** وظاهر القرآن وجميع ألفاظ الروايات تصرف معانيها إلىٰ العموم حتىٰ يأتي متأول ببرهان بين أنه أريد بها الخصوص، فأثبته العلماء: أعمه وأشده استفاضة عند العرب، فمن أدخل منها الخاص علىٰ العام كان من الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فهو يريد أن يتبع فيها غير سبيل المؤمنين.

- **وقال في النقض (ص٣٣٢):** لا يحكم للأغرب من كلام العرب علىٰ الأغلب، ولكن نصرف معانيها إلىٰ الأغلب حتىٰ تأتوا ببرهان أنه عنىٰ بها الأغرب.

- **وانظر:** كلامه في «النقض» (ص١١١) (ص١٠٧) (٢/ ٧٨٩).

- **وقال ابن جرير في جامع البيان، طـ هجر: (٢/ ٤٨٢):** «الكلام موجه معناه إلىٰ ما دل عليه ظاهره المفهوم، حتىٰ تأتي دلالة بينة تقوم بها الحجة علىٰ أن المراد به غير ما دل عليه ظاهره؛ فيكون حينئذ مسلما للحجة الثابتة بذلك.

- **وقال الكرجي مثل قولهم في «النكت الدالة علىٰ البيان في أنواع العلوم والأحكام» (١/ ١٨٠):** الكلمة إذا كان لها ظاهر معروف وباطن محتمل لم يجز أن تزال عن ظاهرها المعروف إلىٰ باطنها المحتمل إلا بإجماع الأمة أو بنص آية أو سنة.

- **وقال سفيان بن عيينة كما في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٧٨) والدارقطني في الصفات (٦١):** كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره، لا كيف ولا مثل.

- **وفي رواية كما في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٥٨) قال:** فتفسيره تلاوته والسكوت عليه.

يعني علىٰ الظاهر، فالذي تقرأه هو المقصود بالمعنىٰ.

- **وفي رواية كما في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٣٨) قال:** ما وصف الله تعالىٰ به نفسه فتفسيره قراءته، ليس لأحد أن يفسره إلا الله ﷻ، أو رسله صلوات الله عليهم.

قلتَ: وقولهم لا تفسر أو قراءتها تفسيرها فمرادهم بذلك هو التفسير الذي يخالف ظاهرها وهو تفسير الجهمية والمشبهة ومن وافقهم وقد بسطت الكلام علىٰ توجيه هذه الألفاظ في الرد علىٰ المفوضة.

- **وروي عن أبي عبيد كما في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٩٢) أنه قال:** نحن نروي هذه الأحاديث ولا نريغ لها المعاني.

أي لا نطلب لها التفاسير التي تخالف ظواهرها.

- **وقال الوليد بن مسلم:** سألت الأوزاعي، والثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد: عن الأحاديث التي فيها الصفات؟ فكلهم قال: أمروها كما جاءت بلا تفسير.

«الشريعة للآجري» (٣/ ١١٤٦) والخلال في السنة (١/ ٢٥٩) والدارقطني في الصفات (٧٥) والإبانة الكبرىٰ (٣/ ٢٤١) وابن أبي حاتم في علل الحديث (٢/ ٢٠٩).

- **وروي في «ذم التأويل» (ص٢٠): قال يحيىٰ بن عمار** وهؤلاء أئمة الأمصار فمالك إمام أهل الحجاز والثوري إمام أهل العراق والأوزاعي إمام أهل الشام والليث إمام أهل مصر والمغرب.

- **وفي بعض روايات الأثر:** «أمروها كما جاءت بلا كيف».

«المراسيل لأبي داود» (ص١١٢).

- **وذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة بإسناده عن الأوزاعي قال:** سئل مكحول والزهري عن تفسير هذه الأحاديث فقالا: أمروها كما جاءت. «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٧٥) واللالكائي (٣/ ٤٧٨).

- **وقال الزهري:** علىٰ رسول الله البلاغ، ومنا التسليم قال: أمروا حديث رسول الله (ص) علىٰ ما جاءت.

أخرجه البخاري في الصحيح مجزوما به (٦/ ٢٧٣٨) والخلال في السنة (١٠٠١) والحميدي في النوادر (١٣/ ٥٠٤ الفتح).

قلت: ومعنىٰ قولهم أمروها كما جاءت إبقاء دلالتها علىٰ ما جاءت به من المعاني، ولو كانوا لا يعتقدون لها معنىٰ لقالوا أمروا لفظها ولا تتعرضوا لمعانيها.

- **وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن** الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التصديق.

اللالكائي (٦٥٥) والعجلي في الثقات (١٥٨) والخلال في السنة (ص٣٠٦ الفتوىٰ الحموية).

- **وقال أبو داوود الطيالسي ﷬ في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٤):** كان سفيان الثوري،

وشعبة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وشريك، وأبو عوانة، لا يحدون، ولا يشبهون، ولا يمثلون، يروون الحديث ولا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر.

- **وقال وكيع أيضا عن أحاديث الصفات كما في «السير» (٩/ ١٦٥):** أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث، ولا ينكرونها.

- **وروي في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٥٠): عن أبي زرعة الرازي** أنه لما سئل عن تفسير قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥]. فقال: تفسيره كما يقرأ هو علىٰ العرش وعلمه في كل مكان؛ ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله.

- **وروي في «تهذيب اللغة» (٣/ ١٣٠): عن ابْن الأنباريّ فِي قَوْله تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [سورة هود:٣٧] قال أصحاب النقل والأخذ بالأثر: الأعين يريد به العين. قال: وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدا أن يقول: كيف هي أو ما صفتها.

- **وقال كما في «إبطال التأويلات» (ص٦٠ ط غراس):** هذه الأحاديث متواترة عن رسول الله، أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف.

- **وقال ابن بطة** رحمه الله **في «الإبانة الكبرىٰ - ابن بطة» (٧/ ٢٤٤):** وكل ما جاء من هذه الأحاديث، وصحت عن رسول الله ﷺ ففرض علىٰ المسلمين قبولها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب علىٰ من قبلها، وصدق بها أن لا يضرب لها المقاييس، ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير لكن تمر علىٰ ما جاءت ولا يقال فيها: لم؟ ولا كيف؟ إيمانا بها وتصديقا، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهىٰ بنا، كما قال المصطفىٰ نبينا ﷺ بلا معارضة، ولا تكذيب، ولا تنقير، ولا تفتيش، والله الموفق وهو حسبنا

ونعم الوكيل، فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن وأصل الشريعة، فالطعن عليهم، والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث طعن في الدين، ورد لشريعة المسلمين ومن فعل ذلك فالله حسيبه، والمنتقم منه بما هو أهله.

- **وقال ابن شاقلا (ت:٣٦٩هـ) في «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣٥):** ثم قلت له: هذه الأحاديث تلقاها العلماء بالقبول -أي أحاديث الصفات كالوجه والأصابع ونحوها- فليس لأحد أن يمنعها، ولا يتأولها ولا يسقطها لأن الرسول ﷺ لو كان لها معنىٰ عنده غير ظاهرها لبينه، ولكان الصحابة حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ سألوه عن معنىٰ غير ظاهرها، فلما سكتوا وجب علينا أن نسكت حيث سكتوا ونقبل طوعـًا ما قبلوا.

- **وقال أبو نصر السجزي (ت:٤٤٤هـ) «رسالته إلىٰ أهل زبيد» (ص١٥٢):**
الواجب أن يعلم أن الله تعالىٰ إذا وصف نفسه بصفة هي معقولة عند العرب، والخطاب ورد بها عليهم بما يتعارفون بينهم، ولم يبين سبحانه أنها بخلاف ما يعقلونه، ولا فسرها النبي ﷺ لما أداها بتفسير يخالف الظاهر فهي علىٰ ما يعقلونه ويتعارفونه.

- **وقال أبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف وأهل الحديث» (ص٣٨-٤٠):**
وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحياة، واليقظة، والفرح، والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات

المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلىٰ ما قاله الله تعالىٰ، وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه، بتأويل منكر، ويجرونه علىٰ الظاهر، ويكلون علمه إلىٰ الله تعالىٰ، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله.

قلت: وأما قولهم بلا كيف ففيه إثبات حقيقة المعنىٰ لأنهم لو كانوا لا يعتقدون لها معنىٰ ما احتاجوا إلىٰ نفي الكيفية عنها ولكان نفي الكيفية من لغو الكلام.

- **وقال صاحب الحجة (١/ ١٨٨):** الكلام في صفات الله ﷻ ما جاء منها في كتاب الله ، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فمذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين إثباتها وإجراؤها علىٰ ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وذهب قوم من المثبتين إلىٰ البحث عن التكييف.

- **ويقول إسماعيل بن محمد التيمي وقد سئل عن صفات الرب تعالىٰ:** مذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وأحمد بن حنبل ويحيىٰ بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وإسحاق بن راهويه: أن صفات الله التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله، من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه، إنما هي علىٰ ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يتوهم فيه، ولا تشبيه ولا تأويل؛ قال سفيان بن عيينة: كل شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره، أي: علىٰ ظاهره، لا يجوز صرفه إلىٰ المجاز بنوع من التأويل. العرش للذهبي (٢/ ٤٥٩-٤٦٠)، والعلو له (ص١٩٢).

- **وجاء في «العلو للعلي الغفار» (ص١٩٧):** قال أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي

عاصم الشيباني جميع ما في كتابنا كتاب السنة الكبير الذي فيه الأبواب من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها ويجب التسليم لها علىٰ ظاهرها وترك تكلف الكلام في كيفيتها فذكر من ذلك النزول إلىٰ السماء الدنيا والاستواء علىٰ العرش.

- **وجاء في «العلو للعلي الغفار» (ص٢٦٣):** قال أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني مصنف الترغيب والترهيب وقد سئل عن صفات الرب فقال مذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وحماد ابن سلمة وحماد بن زيد وأحمد ويحيىٰ بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وإسحاق بن راهويه أن صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه إنما هي علىٰ ظاهرها المعروف المشهور من غير كيف يتوهم فيها ولا تشبيه ولا تأويل.

بينما المفوضة ترىٰ أن الظاهر غير مراد وتمنع من الأخذ به.

- **وانظر:** في العلو (ص٢٥٣) وفي السير (١٣/ ٢٨٣-٢٨٤) والنقض (ص٨٩) والشريعة (٣/ ١١٨٢) والبخاري (١٢٧٦) و«الإبانة الكبرىٰ» (٦/ ٢٠٢) والأربعين في دلائل التوحيد (ص٧٧-٧٨) و(ص٦١) و(ص٦٤).

القاعدة الثامنة: كل ما اتصف به المخلوق من صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه فالخالق أولى بها وكل ما ينزه عنه المخلوق من صفات نقص لا كمال فيها مطلقا فالخالق أولى بالتنزه عنها.

تعليق

ومضمون هذه القاعدة أن المخلوق إذا اتصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، (الكمال المطلق) فالخالق أولىٰ أن يوصف بها، لأن معطي الكمال أولىٰ به، ولو لم يتصف الخالق بصفات الكمال لكانت مخلوقاته أكمل منه، فإذا جاء النص بذلك قبلناه وأثبتناه علىٰ ما يليق.

فالله ﷻ له وجه فيه سمع وبصر وفم وسبحانه خلق البشر لهم وجوه فيها سمع وبصر فهذا ما يسمىٰ بالقدر المشترك ولا يستلزم تشبيها، فكما أننا نثبت لله تعالىٰ علماً ولنا علم لكن علمنا ليس كعلم الله تعالىٰ، فعلمنا يلحقه النسيان ويسبقه الجهل بينما علم الله ليس كذلك، والعبد له محبة والله سبحانه يحب وله محبة لكن محبة الله ليست كمحبة العبد، **كما قَالَ تعالىٰ:** ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة:٥٤] فالله يُحب، وصفط المحبة كمال، ومن يحبُّ أكمل ممن لا يحب، وبالتالي نثبت لله هذه الصفة، هذا دليل عقلي يؤيد الدليل النقلي.

وسبحانه وصف نبيه أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ووصف نفسه كذلك سبحانه بأنه رؤوف رحيم ورحمته أعظم سبحانه.

وكذلك الله تعالىٰ موجود ونحن موجودون، ولكن وجودنا مختلف، فوجودنا له

بداية ونهاية بينما الله سبحانه الأول بلا بداية وهو الآخر بلا نهاية.

والعبد فيه حياة والله سبحانه حي.

والدنيا فيها نور والله سبحانه عنده النور الأكمل.

والله جميل وكل ما في الدنيا من آثار جماله سبحانه.

وصفات الله كلها كمال وهو موصوف بتلك الصفات كلها، لو فرضت جمال الخلق كلهم من أولهم إلىٰ آخرهم لشخص واحد منهم، ثم كان الخلق كلهم علىٰ جمال ذلك الشخص لكان نسبته إلىٰ جمال الرب تبارك وتعالىٰ دون نسبة سراج ضعيف إلىٰ جرم الشمس.

وهذا لا يستلزم التشبيه بل هو يدل علىٰ الكمال المطلق لله تعالىٰ، فكل كمال في الدنيا الله تعالىٰ أولىٰ به سبحانه، فواهب الكمال هو أولىٰ به قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ [سورة النحل:٦٠]، وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة الروم:٢٧]. فمن المتفق عليه عند أهل السنة أن كل مدح وثناء وصفة حسنة تكون حسنة مطلقاً بمعنىٰ: أن لا يكون فيها نقص بوجه من الوجوه البتة، فالله أولىٰ بذلك، لم؟ لأن معطي الكمال أولىٰ به.

فصفة اليد، والوجه، والعين، والحب، والإتيان، والمجيء، والضحك، والفعل، ونحو ذلك، فهي من صفات الكمال مطلقاً، ويكمل بها المخلوق، وهذا يوجب أن يكون الخالق أولىٰ بالاتصاف بها، فهو سبحانه واهب الكمال.

ومثال ذلك:

الشمس والشمعة فالشمس لها نور والشمعة لها نور والفرق بين نورهما كبير لكن بينهما قدر مشترك ألا وهو النور والضوء فهذا هو المعنىٰ الحقيقي والقدر المشترك.

- **قال الدارمي** رحمه الله **في النقض (١/ ٤٤٢):** والأنوار المخلوقة ليس منها نور إلا وله ضوء ساطع، ومنظر رائع فيكف النور الأعظم خالق الأنوار الذي ليس كمثله شيء؟!.

فلذلك المعطلة المفوضة مذهبهم كمذهب الملاحدة يرجعون كل ما نراه في المخلوقات من كمال إلىٰ المخلوقات نفسها لا أنها مكتسبة من الخالق.

فالله تعالىٰ يتكلم وعلم آدم الكلام ولقنه من كلامه، وعلمه وشرفه علىٰ المخلوقات أنه قادر علىٰ التكلم والتعلم والله تعالىٰ يتكلم فهذا لا يستلزم تشبيهـًا، فكلامه ليس ككلام البشر ولكن أصل الصفة من عنده جاءت كما أن أصل العلم وأصل الوجود من عنده جاء لكن جائنا نحن علىٰ قدر يناسبنا كمخلوقات فيها نقص.

ولكن عنده سبحانه الكمال المطلق في كل الصفات.

- **ويبين هذا أكثر ما جاء في حديث عَن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رسول الله** صلى الله عليه وسلم: **«إن لله** جل جلاله **مائة رحمة، فجعل منها رحمة في الدنيا تتراحمون بها، وعنده تسعة وتسعون رحمة فجعل رحمة واحدة يتراحم بها الخلق فكل ما تراه من رحمة هي من آثار هذه الرحمة الواحدة».**

والبقية عنده ادخرها لعباده المؤمنين وهذا لا يسلتزم تشبيهـًا، فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقال سبحانه عن البشر: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [سورة الإنسان:٢].

فالله تعالىٰ سميع بصير والعبد سميع بصير، فهل هما مستويان في السمع والبصر؟ لا أبداً فالاشتراك بينهما يدل علىٰ قدر مشترك يسير، ولكن هناك قدر فارق أعظم

فيجعل القدر الفارق انتفاء الصمم والعمىٰ والله تعالىٰ عنده الكمال المطلق، فلا يخفىٰ عنه شيء ويبصر كل شيء ويسمع كل شيء.

ونحن نرىٰ التفاوت بين المخلوقات في الكمالات ولله تعالىٰ المثل الأعلىٰ.

- **قال أحمد في «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة» (ص١٢٢):** اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلىٰ من الآخر، ثم جرىٰ عليهما اسم مدح، فكان أعلاهما أولىٰ بالمدح وأغلب عليه، وإن جرىٰ عليه اسم ذم فأدناهما أولىٰ به».

قلت: قرر أحمد أنه ما من شيئين اجتمعا في اسم واحد يجمعهما إذا وصف أحدهما بصفة مدح وكمال كان أعلاهما أولىٰ بالمدح والكمال من أدناهما، وهذا تقرير لقاعدة وهي: أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال لا نقص فيه فالخالق أولىٰ به، كما أنه قرر أنه إذا كان هناك صفة أو اسم ذم فالأدنىٰ أحق بها، فإذا تنزه عنها الأدنىٰ فالأعلىٰ من باب أولىٰ، وهذا منه إشارة إلىٰ قاعدة وهي كل ما ينزه عنه المخلوق من نقص لا كمال فيه، فالخالق أولىٰ بالتنزه عنه.

- **وقال ابن قتيبة في كتابه «تأويل مُختلف الحديث»: نحن نقول في قوله:** ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ﴾ [سورة المجادلة:٧] أنَّه معهم بالعلم بما هم عليه، كما تقول للرجل وجَّهْتَه إلىٰ بلد شاسع، ووكلته بأمر من أمورك: احذر التقصيرَ والإغفالَ لشيء مما تقدمت فيه إليك، فإنِّي معك، تريد أنه لا يَخفىٰ عليَّ تقصيرُك أو جدك للإشراف عليك، والبحث عن أمورك.

وإذا جاز هذا في المخلوق الذي لا يعلم الغيب، فهو في الخالق الذي يعلم الغيبَ

أجوز.

قلت: قرر أن الرجل قد يكون مع غيره بعلمه، ولا يلزم أن يكون مختلطا به فإذا جاز هذا في المخلوق فالخالق من باب أولىٰ.

- **وقال ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ - ابن بطة» (٧/ ١٤٧):** «وإنك لتجد في الصغير من خلق الله أنه ليرىٰ الشيء، وليس هو فيه، وبينه وبينه حائل، فالله تعالىٰ بعظمته، وقدرته علىٰ خلقه أعظم ألا ترىٰ أنه يأخذ الرجل القدح بيده وفيه الشراب أو الطعام، فينظر إليه الناظر، فيعلم ما في القدح، والله علىٰ عرشه، وهو محيط بخلقه بعلمه فيهم، ورؤيته إياهم، وقدرته عليهم، وإنما دل ربنا تعالىٰ علىٰ فضل عظمته، وقدرته أنه في أعلىٰ عليين، وهو يعلم الصغير التافه الحقير الذي هو في أسفل السافلين، أي فليس علمه كعلمهم؛ لأن الخلق لا يعلمون إلا ما يشاهدون، والله ﷻ يتعالىٰ عن ذلك، وقد بين ذلك في كتابه فقال: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ١٢﴾ [سورة الطلاق:١٢].

قلت: ذكر رحمه الله عظمة الله وقدرته علىٰ الخلق، فإنك لتجد الصغير من خلق الله تعالىٰ أنه يرىٰ الشيء ويبصره وليس هو فيه وبينه وبينه حائل فالله تعالىٰ بعظمته وقدرته علىٰ خلقه أعظم وأولىٰ وهو بهذا يشير إلىٰ قاعدة كل كمال اتصف به المخلوق لا نقص فيه فالخالق أولىٰ به، ويحسن التنبيه علىٰ أمر خاص متعلق بهذه القاعدة وهو أن من الأوصاف ما تكون نقصـًا في حق الله لكماله وكمالا في حق المخلوق لنقصه.

ومثال ذلك:

ربنا تبارك وتعالى وصف بأنه صمد والصمد هو الذي لا جوف له لا يأكل ولا يشرب بل

هو الغني ﷻ وهذا كمال في حقه ﷻ.

بينما هذا في حق المخلوق لو وصف به فإنه نقص بل هو سبيل موته.

وكذلك نفي الولد فهو في حق الله سبحانه نقص لأنه الأول الذي لا بداية له، والآخر بعد كل شيء لا يلحقه فناء ولم يسبقه عدم فهذا كماله ﷻ.

أما المخلوق فقد سبقه العدم، فهو مفتقر إلىٰ أن يولد ولا شك أن من نجحت ولادته أكمل ممن لم تنجح.

ويلحقه الفناء فهو مفتقر إلىٰ دوام النسل إلىٰ أن يلد، وإلا انقطع ذكره وهذا نقص فيه إذا لم يلد.

وكذلك الزوج فهي في حق المخلوق ضرورة لابد منها، ومن لا زوج له أنقص ممن له زوج والرجل بلا زوج يشعر بالوحشة، ولا يكن له ذرية وغير ذلك من معاني النقص.

بينما نفي الزوج عن الله تعالىٰ كمال لأنه الأول والغني ﷻ.

وقد ضلت الجهمية فجاءت إلىٰ صفات لا تنافي أولية الله ﷻ فجعلتها من جنس هذه الصفات التي تنافي أولية رب العالمين، وقاسوا في ذلك قياسًا فاسدًا أنكروا فيه قاعدة كل كمال في المخلوق الله أولىٰ به لأنه واهب الكمال فإذا جاء النص بذلك قبلناه علىٰ ما يليق بجلاله ولا يشبه مخلوقاته كما أَن له سمعـًا وبصرًا وحياةً وقدرةً ورحمةً وعفواً وكرمـًا وكل ذلك يوجد في المخلوق بما يليق بمخلوقيته وهو في الخالق علىٰ الكمال المطلق، وهم ينفرون من صفات مثل صفة الوجه لأن حقيقة قولهم أنهم لا يؤمنون بوجود حقيقي لله في الخارج تعالىٰ عما يقولون وكل ما يثبت ذلك يقولون عنه

تجسيم ولذا قال السلف: المعطل يعبد عدمًا، وفي مقابلهم النصارىٰ الذين شبهوا فنسبوا الإله إلىٰ الأكل والشرب وغيرها من خصال المخلوقين المنافية لأولية الإله.

فقاعدة قياس الأولىٰ لها تعلق بباب الصفات من وجهين:

الوجه الأول: من جهة الإثبات كما سبق.

الوجه الثاني: من جهة النفي، وذلك أن كل نقص وعيب يتنزه عنه المخلوق، فإن الله ﷻ يتنزه عنه من باب أولىٰ، ونص الإمام أحمد السابق يدل دلالة مباشرة علىٰ الوجه الثاني.

القاعدة التاسعة: ليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيه.

يقول الإمام نعيم بن حماد الخزاعي: ليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه.

- **وقال الإمام أحمد:** ونؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه تعالىٰ صفة من صفاته بشناعة شُنّعت.

ومن الشناعات التي يشنع بها الجهمية أن هذه الأخبار تفيد التشبيه.

- **قال الإمام الترمذي في «السنن» (٣/ ٥٠):** وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالىٰ يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف؟ ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهـًا، وهو كما قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١].

- **وقال كما في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة» للالكائي: (٢/ ٤٧٧):** من وصف

الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم، لأنه وصف بصفاته إنما هو استسلام لأمر الله ولما سن الرسول.

- **وجاء في «الإبانة لابن بطة» (٣/ ٣٢٦): وقال حنبل:** قلت لأبي عبد الله: والمشبهة ما يقولون؟ قال: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي. فقد شبه الله بخلقه وهذا كلام سوء، والكلام في هذا لا أحبه.

- **وجاء في «التوحيد لابن منده» (٣/ ٣٠٩): وقال أبو زرعة الرازي:** لا يقال نفس كنفس لأنه كفر، وقال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص:٧٥]، أن الله ﷻ خلق آدم بيده، ولا يقال: يد مثل يد ولا يد كيد لأنه كفر.

- **وجاء في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ١٨٠):** قال أحمد بن سنان: المُشبهة الذين غلوا فجاوزوا الحديث، فأما الذين قالوا بالحديث فلم يزيدوا علىٰ ما سمعوا فهؤلاء أهل السنة المُتمسكون بالصواب والحق، وليس هم بالمُشبهة، ما شبهوا هؤلاء، إنما آمنوا بما جاء به الحديث، هؤلاء مؤمنون مُصدّقون بما جاء به النبي ﷺ والكتاب والسنة.

- **وقال ابن شاقلا الحنبلي كما في «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣٥):** فقال لي: أنتم المشبهة. فقلت: حاشا لله، المشبه الذي يقول: وجه كوجهي، ويد كيدي، فأما نحن فنقول: له وجه كما أثبت لنفسه وجهـًا، وله يد كما أثبت لنفسه يداً، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ومن قال هذا فقد سلم.

- **وقد قال الإمام الترمذي في سننه:** وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى... قالوا قد تثبت

الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال: كيف.

ثم ذكر الترمذي أنه هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: أمروها بلا كيف، ثم قال الترمذي: وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه.

فانظر إلىٰ قول الجهمية؛ فهم الذين جعلوا نصوص الوحي تشبيهًا، لا أئمة السلف وزعموا التنزيه للتمويه والتعطيل.

- **قال المروذي:** سمعت أبا عبد الله قيل له: أي شيء أنكر علىٰ بشر بن السري؟ وأي شيء كانت قصته بمكة؟

قال: تكلم بشيء من كلام الجهمية.

فقال: إن قوما يحدون.

قيل: التشبيه؟

فأومأ برأسه: نعم.

قال: فقام به مؤمل حتىٰ خنس، فتكلم ابن عيينة في أمره حتىٰ أخرج، قال: إنه صاحب كلام.

- **وانظر كلام الدارمي في «النقض» (١/ ٤٢٧):** دعوىٰ المريسي تنزيه الله عن المشابهة ومناقشته في ذلك.

- **وقال أبو زرعة:** المعطلة النافية الذين ينكرون صفات الله عزوجل التي وصف بها نفسه في كتابه وعلىٰ لسان نبيه ﷺ، ويكذبون بالأخبار الصحاح التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الصفات ويتأولونها بآرائهم المنكوسة علىٰ موافقة ما اعتقدوا من

الضلالة وينسبون رواتها إلىٰ التشبيه، فمن نسب الواصفين ربهم ﷻ بما وصف به نفسه في كتابه وعلىٰ لسان نبيه ﷺ من غير تمثيل ولا تشبيه إلىٰ التشبيه فهو معطل ناف ويستدل عليهم بنسبتهم إياهم إلىٰ التشبيه أنهم معطلة نافية، كذلك كان أهل العلم يقولون منهم: عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح.

- **وقال ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٧/ ٣١٩):** فالجهمية تجحد أن لله سمعا وبصرا وقالوا: معنىٰ قوله: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾ [سورة المجادلة:١] أن لا يخفىٰ عليه شيء كقولك للمكفوف: ما أبصره بكيت وكيت، فدل ذلك من قولهم علىٰ إبطال صفات الموصوف، وردوا كتاب الله وجحدوا صفات الله التي وصف الله بها نفسه، وقد أكذبهم الله ﷻ ورسوله، واحتجوا بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فعدلوا عما نهىٰ الله، ووهموا علىٰ الضعفاء أنهم يريدون بنفي الصفات تنزيه الله، وصرف التشبيه عنه.

- **وقال ابن خزيمة في التوحيد (ص٥١):** فأما احتجاج الجهمية علىٰ أهل السنة والآثار في هذا النحو بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فمن القائل إن لخالقنا مثلا أو إن له شبيها؟ وهذا من التمويه علىٰ الرعاع والسفل، يموهون هذا علىٰ الجهال يوهمونهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو علىٰ لسان نبيه ﷺ فقد شبه الخالق بالمخلوق.

- **وقال الإمام أحمد في «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة» (ص٩٧) واصفا مقالة الجهم بن صفوان:** وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرا، وكان من المشبهة.

فقد أنكر الإمام رحمه الله تعالىٰ حكم جهم بالتشبيه علىٰ من وصف الله بما

وصف نفسه أو وصفه رسوله ﷺ.

- **وفي حكاية المحنة كما في «الإبانة الكبرىٰ - ابن بطة» (٦/ ٢٥٦) قال أحمد:** لقد جعل برغوث يقول يومئذ: الجسم وكذا وكلام لا أفهمه، فقلت: لا أعرف ولا أدري ما هذا، إلا أنني أعلم أنه أحد صمد، لا شبه له ولا عدل، وهو كما وصف نفسه.

قد نفىٰ الإمام رحمه الله عن منهجه التشبيه، وقرر أن الله تعالىٰ لا شبه له ولا عدل، ومع ذلك فقد قرر أن الله سبحانه صفته علىٰ ما وصف نفسه في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ.

- **وقال السجزي في رسالته (ص١٢٣):** وهو يذكر تلبيس الأشعرية تمويههم صفة الكلام: ونفوس ذوي النقص مسرعة إلىٰ قبول هذا التمويه، يظنون أن في ذلك تنزيها لله سبحانه والأمر بخلاف ذلك.

- **وقال ابن قتيبة في كتاب الاختلاف في اللفظ (ص٣٦)**: وتعمق آخرون في النظر وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عن الخالق، فأبطلوا الصفات مثل الحلم والقدرة والجلال والعفو وأشباه ذلك، فقالوا هو الحليم ولا نقول بحلم، وهو القادر ولا نقول بقدرة، وهو العالم ولا نقول بعلم، كأنهم لم يسمعوا إجماع الناس علىٰ أن يقولوا (أسألك عفوك) وأن يقولوا (يعفو بحلم ويعاقب بقدرة)، والقدير هو ذو القدرة والعافي هو ذو العفو، والجليل هو ذو الجلال، والعليم هو ذو العلم.

- **وفي كتاب جمع الجيوش والدساكر لابن عبد الهادي (١١٠):** عن عدنان بن عبدة النميري يقول: سمعت أبا عمر البسطامي، يقول: كان أبو الحسن الأشعري

أولا ينتحل الاعتزال، ثم رجع فكتم عليهم، وإنما مذهبه التعطيل، إلا أنه رجع من التصريح إلىٰ التمويه.

والجهمية الزنادقة هم المشبهة حقيقة:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [سورة البقرة:١٣].

والمراد بالناس هنا: النبي ﷺ وأصحابه، فوصفوهم بالسفه، فمعنىٰ كلامهم أنؤمن كما آمن أهل الجهل، ونصدق بالوحي كما صدق هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام؟

فبين الله تعالىٰ كذب دعواهم، وانقلاب وصف الذم عليهم، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [سورة البقرة:١٣].

قلت: كذلك الجهمية وأفراخهم أولىٰ باللقب.

- **قال الدارمي «النقض» (١/ ٣٠١):** وكيف استجزت أن تسمي أهل السنة وأهل المعرفة بصفات الله المقدسة: مشبهة، إذ وصفوا الله بما وصف به نفسه في كتابه بالأشياء التي أسماؤها موجودة في صفات بني آدم، بلا تكييف، وأنت قد شبهت إلهك في يديه وسمعه وبصره بأعمىٰ وأقطع وتوهمت في معبودك ما توهمت في الأعمىٰ والأقطع فمعبودك -في دعواك- مجدع منقوص أعمىٰ لا بصر له وأبكم لا كلام له وأصم لا سمع له وأجذم لا يدان له ومقعد لا حراك به وليس هذه بصفة إله المصلين؟ فأنت أوحش مذهبا في تشبيهك إلهك بهؤلاء العميان والمقطوعين، أم هؤلاء الذين سميتهم مشبهة؛ أن وصفوه بما وصف به نفسه بلا تشبيه؟

- **وقال في «النقض» (ص١٦١):** وادعيتم علىٰ غيركم ممن لا يكيف التكييف، وعلىٰ من لا يشبه التشبيه، وأنتم دائبون تكيفون، وتشبهون بأقبح الأشياء. وأبطل الأمثال، فمرة تكيفه فتشبهه بأعمىٰ، ومرة بأقطع، فكان وعظك هذا لهؤلاء كقول القائل: كلمة حق يبتغىٰ بها باطل.

- **وقال الإمام حرب الكرماني-في عقيدته التي نقل فيها اجماع السلف (١١٥):**

وأمّا الجهمية: فإنهم يسمون أهل السنة مشبهة، وكذبت الجهمية أعداءُ الله ؛ بل هم أولىٰ بالتشبيه والتكذيب. افتروا علىٰ الله الكذب، وقالوا علىٰ الله الزور والإفك، وكفروا في قولهم.

- **وقال إسحاق:** علامة جهم وأصحابه: دعواهم علىٰ أهل الجماعة وما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة، بل هم المعطلة، ولو جاز أن يقال لهم: هم المشبهة لاحتمل ذلك، وذلك أنهم يقولون: إن الرب ﷻ في كل مكان بكماله في أسفل الأرضين، وأعلىٰ السموات، علىٰ معنىٰ واحد، وكذبوا في ذلك ولزمهم الكفر. أصول الاعتقاد (٣/ ٥٨٨/ ٩٣٨).

وقال بعض أهل العلم: إن الجهمية هم المشبهة، لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم، والأبكم الذي لا يسمع ولا يُبصر ولا يتكلم ولا يخلق، وقالت الجهمية: وكذلك لا يتكلم ولا يُبصر نفسه، وقالوا: إن اسم الله مخلوق. خلق أفعال العباد (١١١).

- **وقال الكرجي:** فليت شعري! لِمَ يسمونا المشبهة؟! لأن قلنا: إن لله سمعًا، وبصرًا، ويدين مبسوطتين ينفق كيف يشاء، وهم يأبون أن يجيزوا علىٰ الله شيئًا إلا ما وجدوا شبهه في المخلوق، ولم ينب عنه العقل المخلوق. النكت (٤/ ٥٢).

- **وقال قتيبة بن سعيد:** إذا قال الرجل: المشبهة، فاحذروه، فإنه يرىٰ رأي جهم. ذم الكلام (٢٥٧).

القاعدة العاشرة: الإجماع حجة في باب الأسماء والصفات.

مضمون هذه القاعدة أن الإجماع يحتج به في الأسماء والصفات نفيـًا وإثباتـًا، فيثبت لله تعالىٰ صفات الكمال عن طريق الإجماع كما ينفىٰ عن الله تعالىٰ صفات النقص عن طريق الإجماع.

وهذه القاعدة المهمة فرع عن القاعدة التي مرت معنا، وهي إثبات ما جاء في الكتاب والسنة والآثار لأن الإجماع لابد أن يكون له مستند من الكتاب والسنة والآثار، والإجماع قد ينعقد مع عدم علمنا بالدليل الذي استند عليه الإجماع.

وأهمية الإجماع السلفي في باب العقيدة وأنه هو العلامة المميزة لفهم السلف هذا لا يخفىٰ علىٰ طالب علم وسيأتي الكلام تفصيلاً عن هذا المسلك المهم في أصول الاستدلال عند أهل السنة والجماعة.

القاعدة الحادية عشرة: الفطر السليمة موافقة لما جاءت به الشريعة من إثبات الأسماء والصفات.

وهذه القاعدة تتضمن أصلاً عظيمـًا ومسألة مهمة، وهي أن الفطرة التي فطر الله عليها عباده موافقة لما جاءت به الشريعة والرسل بعثوا بتكميل الفطرة لا بتحويلها وتغييرها، فالفطرة تدرك علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه إلا أن استواء الله علىٰ عرشه إنما يدرك بالسمع والخبر فهنا تأتي الشريعة لتكميل وتتميم الفطرة لا بتحويلها وتغييرها.

- **قال ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٥٤):** باب ذكر البيان أن الله ﷻ في السماء

كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلىٰ لسان نبيه ﵇، وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين، علمائهم وجهالهم، أحرارهم ومماليكهم، ذكرانهم وإناثهم، بالغيهم وأطفالهم.

- **وجاء في «تأويل مختلف الحديث» (ص٣٩٤):** ولو أن هؤلاء رجعوا إلىٰ فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق سبحانه، لعلموا أن الله تعالىٰ هو العلي، وهو الأعلىٰ، وهو بالمكان الرفيع، وإن القلوب عند الذكر تسمو نحوه، والأيدي ترفع بالدعاء إليه.

وسيأتي تفصيل هذه المسألة عند قول الدارمي ﵀ قد خلص علم كثير منها إلىٰ النساء والصبيان.

القاعدة الثانية عشرة: آثار الصحابة حجة في باب الأسماء والصفات.

جاء في «الشريعة للآجري» (٢/ ١٠٥١): قال محمد بن الحسين: ﵀: اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله ﷻ: بما وصف به نفسه ﷻ وبما وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به الصحابة ﵃ وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع.

قال عبيد الله السجزي: أهل السنة: هم الثابتون علىٰ اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح ﵏ عن الرسول ﷺ، أو عن أصحابه ﵃ فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول ﷺ؛ لأنهم رضي الله عنهم أئمة، وقد أُمِرنَا باقتداءِ آثارهم، واتِّباعِ سُنَّتِهم، وهذا أظهرُ مِن أن يُحتَاجَ فيه إلىٰ إقامة برهان.

الرسالة، ط الأمر الأول: (صـ٥٩ رر٨٢)، مِن الفصل الثاني: «بيان السنة، وبمَ

يصير المرء مِن أهلها».

القاعدة الثالثة عشرة: الإقرار بالصفات وحملها على الحقيقة لا على المجاز.

مضمون هذه القاعدة هو إثبات الأسماء والصفات علىٰ الحقيقة ونفي المجاز عنها فنثبت أن الله تعالىٰ حي حقيقة متصف بصفة الحياة حقيقة عليم حقيقة متصف بصفة العلم حقيقة سميع حقيقة متصف بصفة السمع حقيقة إلىٰ غير ذلك من أسمائه وصفاته.

والمراد بالحقيقة هو المعنىٰ المتبادر إلىٰ الذهن من ظاهر اللفظ، والغرض من القول بالمجاز عند المتكلمين نفي وتعطيل الصفات وعلىٰ هذا فإن القول بالمجاز في الصفات أصل من أصول التعطيل.

القاعدة الرابعة عشرة: ما ثبت من الأسماء والصفات في الكتاب والسنة والآثار وجب على كل مسلم الإيمان به وإن لم يعلم معناه.

القاعدة الخامسة عشرة: باب الإخبار أوسع من باب الصفات.

القاعدة السادسة عشرة: التوقف في الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها ولا نفيها.

كلفظ الجسم والجبر وغيرها وسيأتي تفصيل الكلام علىٰ الألفاظ المجملة في مبحث أصول الاستدلال عند أهل الكلام والبدع.

القاعدة السابعة عشرة: دلالة الكتاب والسنة والآثار على الصفة إما التصريح بها، أو تضمن الاسم لها، أو التصريح بفعل، أو وصف دال عليها.

مثال الأول: الرحمة والعزة والقوة والوجه واليدين والأصابع.

مثال الثاني: البصير متضمن صفة البصر والسميع متضمن صفة السمع.

مثال الثالث: قال تعالىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥] فقوله سبحانه دال علىٰ الاستواء.

القاعدة الثامنة عشرة: كل صفة ثبتت بالنقل الصحيح وافقت العقل الصريح ولا بد.

القاعدة التاسعة عشرة: كل اسم ثبت لله تعالى فهو متضمن لصفة، ولا عكس.

فالرحمن متضمن صفة الرحمة والكريم يتضمن صفة الكرم لكن صفة الاستواء والمشيئة لا نشتق منها أسماء فلا يقال لله اسم الآتي والمستوي.

القاعدة العشرون: ما أضيف لله تعالى وهو غير بائن عنه فهو إضافة صفة إلى موصوف وهي غير مخلوقة وكل شيء أضيف إلى الله تعالى وهو بائن عنه كبيت الله وناقة الله فهو مخلوق والإضافة هنا إضافة تشريف فليس كل ما أضيف إلى الله تعالى لزم أن يكون صفة له.

القاعدة واحد وعشرون: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

صفات الله تعالىٰ كلها صفات كمال وكذلك أسماء الله، فهي في غاية الكمال والجمال، ولا يختلف المسلمون أن الله تعالىٰ لا يوصف إلا بالكمال المطلق، وأنه له كل كمال أكمله ﷻ، فله الكمال في ذاته، وله الكمال في صفاته، وله الكمال في ذاته وله الكمال في أفعاله له الكمال في كل ما يتعلق به سبحانه، ولذا كان من أسمائه العظيم

وكان من صفاته العظمة والمقصود بالعظيم هو الذي بلغ غاية الشرف والمجد والكمال سبحانه في كل شيء ومن أسمائه المجيد والكبير ومن صفاته المجد والكبر.

